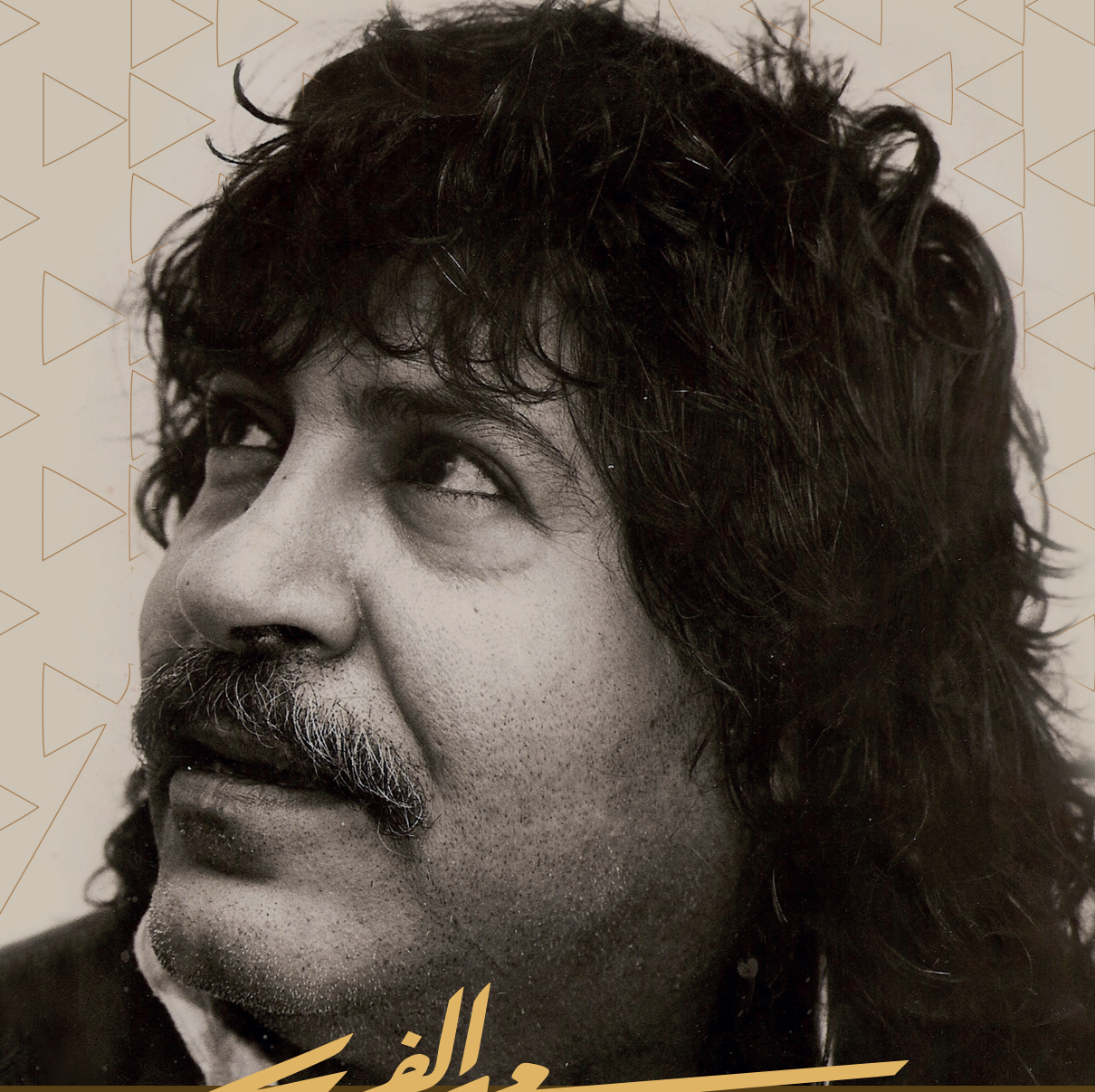

عبدالفتاح

أسعف التلفزيون وأنقذ المشاهدين

مهرجان أفلام السعودية
SAUDI FILM FESTIVAL

الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون | الدمام

مهرجان أفلام السعودية
SAUDI FILM FESTIVAL

سعد الفريح .. أسعف التلفزيون وأنقذ المشاهدين

كتاب السيرة الذاتية للشخصية المكرمة لمهرجان أفلام السعودية 3

الطبعة الأولى 1437هـ/2016 م

الإعداد
علي الدواء
أشرف عبدالله

التصميم والإخراج الفني
أحمد الشايب

الإشراف العام
أحمد الملا

عندما طُرح اسمه في اجتماع اللجنة الاستشارية للمهرجان، حصد إجماعا سريعا من أمام المرشحين الآخرين، لم يكن الكثير من منظمي المهرجان الشباب على دراية كافية به. تركنا لهم حرية البحث والتحقق وفي اليوم التالي، هب النشاط في خلايا الزملاء وكأنما اكتشف كنز خفي عن الأنظار.

مبهر أن تنتبه إلى شخصية عظيمة أسست ما كنا نتغذى عليه بصرياً في مقتبل أعمارنا، والمدهش أن تعتقد بأنك تعيش في واقع صعب تكثر العراقيل فيه أمام الفن ومبدعيه وأن عوائق الإبداع والتغيير القائمة أمامك؛ لم يشهدها قبلك أحد، حتى تتعرف على فنان شق أول طريق في الصحراء، مبدع لم يتنازل عن عشقه في متاهة وعرة عبّدها بيدين عاريتين، إلا من الموهبة والإصرار حتى آخر نفس في حياته.

سعد الفريح، الرحّال الذي حمل الوطن بداخله، والفنان الصادق الذي نبتنا غراساً حالمة في إثر خطواته الكبيرة، العصامي الجاد والناحت في صخرة الزمن؛ نكرّمه في هذه الدورة الثالثة من مهرجان أفلام السعودية، إيمانا منا بأنه خير قدوة للشباب المبدع الذي لا يستسلم أبدا ويذهب بشغفه كله نحو صناعة المستحيل.

المخرج سعد الفريح يحق لنا أن نفخر به رائدا ومؤسسا وقدوة؛ كلما نظرنا إلى شاشة عرض.

نتذكره قليلا ويتحدث عنه زملاؤه كثيرا ويصفه التاريخ بأنه .. أسعف التلفزيون وأنقذ المشاهدين.

إدارة مهرجان أفلام السعودية

قرية السبعان
تصوير : عبدالعزيز العفنان - سعود العطاالله

بداية الرحلة من حقل النخل إلى شركة الزيت

ولد سعد بن فريح بن محمد العفنان التميمي عام 1940م، في قرية السبعان، جنوبي منطقة حائل بالمملكة العربية السعودية، واشتهر باسم سعد الفريح.

نشأ بين قرية السبعان ومدينة حائل، حيث كان والده فلاحاً يعمل في زراعة النخيل، وكان سعداً يساعد والده في الزراعة والري، إلى جانب دراسته حتى أكمل المرحلة المتوسطة وكان عمره حينها قرابة الخمسة عشر عاماً.

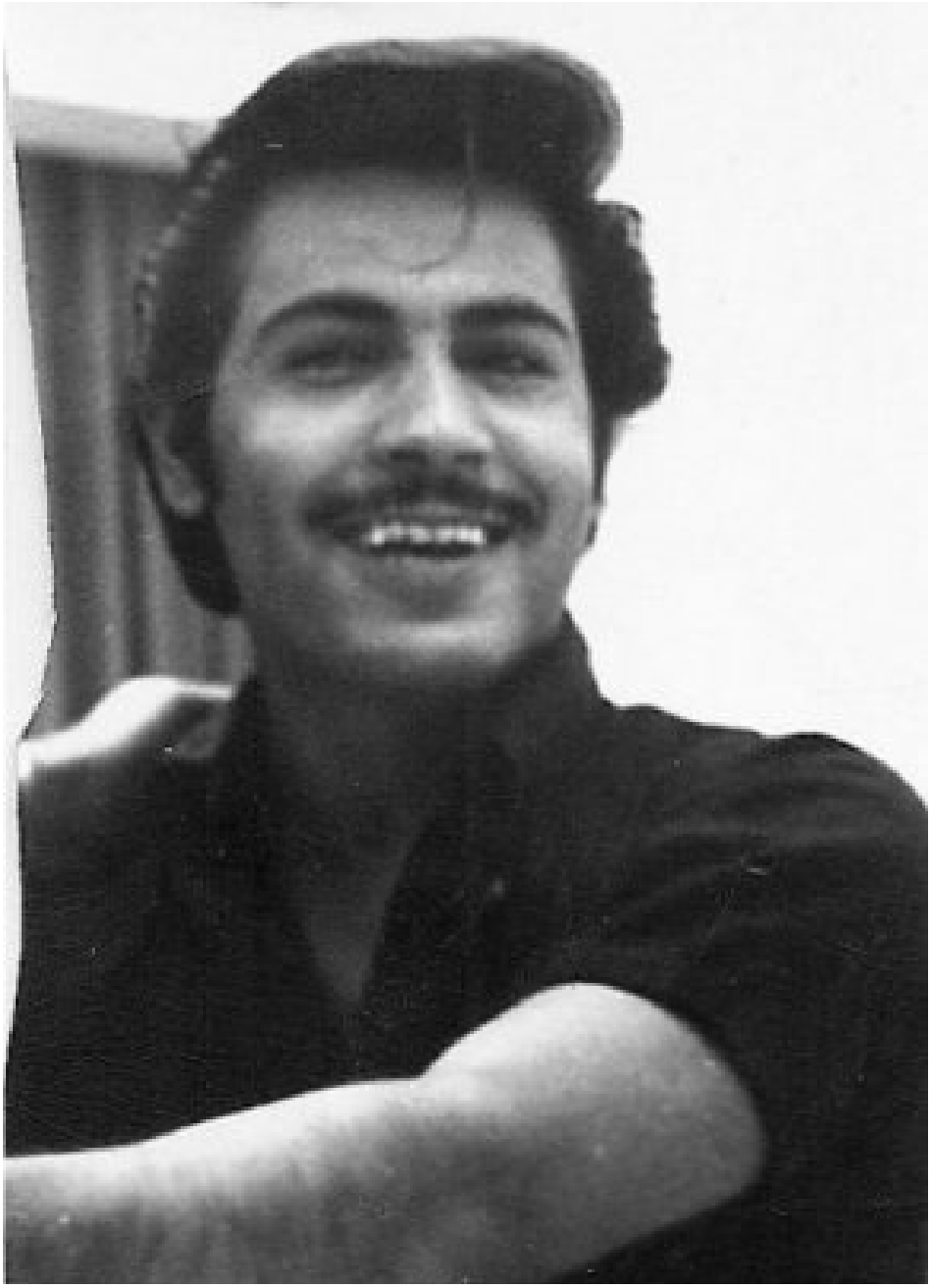

في تلك الفترة كانت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو السعودية حالياً) وجهة لأهالي منطقة حائل ومناطق المملكة عامة للبحث عن العمل، حيث أنها أتاحت العديد من الفرص الوظيفية، وقد التحق العديد من أقارب سعد للعمل بأرامكو، وكان سعد معجباً بأزيائهم وبقصصهم التي لطالما كانوا يروونها عندما يعودون إلى حائل في أوقات العطلات عن حياتهم العملية وطبيعة حياتهم الحديثة، إضافة إلى مشاهدتهم للأفلام السينمائية. قرر حينها أن يغادر حائل إلى الظهران مع مجموعة من أقرانه، من ضمنهم الكابتن طيار جزاع بن غانم الشمري والذي أصبح لاحقاً مساعد مدير عام العمليات الجوية بالخطوط السعودية. استغرقت رحلتهم قرابة الثلاثة أيام حيث كانت الطرق غير معبّدة في تلك الفترة إلى جانب بطء السيارات. عندما وصل، طُلب منه إصدار تابعية من أحوال الدمام حيث أن بطاقة الأحوال لم تستخدم في تلك الفترة وكانت حائل تشتهر بجبل شمر، الأمر الذي دعا لإطلاق اسم "الشمري" على كل من تقدم لإصدار التابعية من حائل.

أكمل سعد دراسته في مدارس أرامكو إلى جانب دراسة اللغة الإنجليزية وعيّن في مستشفى أرامكو كمراسل بين المختبرات والعيادات لنقل عينات التحاليل، ثم تم تغيير موقعه ليصبح سائقاً لسيارة الإسعاف ومن ثم موظف استقبال المرضى والمراجعين لتحويلهم إلى أطباء العيادات.

تليفزيون ارامكو
ARAMCO TV

تلفزيون أرامكو

ولم يكن انتقاله إلى استقبال عيادات المستشفى في الظهران هو المنعطف الأكبر في حياته، إنما تلك اللحظة التي قدم فيها المساعدة لفريق عمل تلفزيون أرامكو حين جاءوا لتصوير بعض المشاهد في عيادات المستشفى. كان تلفزيون أرامكو والذي يعتبر ثاني تلفزيون في الشرق الأوسط بعد تلفزيون بغداد ينوي عمل برنامج عن التثقيف الصحي، وبالمصادفة اختير القسم الذي كان يعمل فيه سعد لتصوير بعض المشاهد، حينها طلبت منه مديرته الأمريكية مساعدتهم في أي شيء يحتاجونه، فلازمهم طوال فترة تصويرهم وكان يساعدهم في حمل الكاميرات ومعداتها. بعدما غادروا أصبح يفكر بهذه المهنة التي كان مبهوراً بها، والتي زاد شغفه بها ما كان يشاهده من الأفلام السينمائية الأمريكية والمصرية في صالة المجمع السكني.

لم يكتف سعد بحمل كاميراتهم ومعدات التصوير، بل اندمج بكامل حواسه، ولم يهنأ له بال حتى تقدم إلى مديرته بطلب نقل وظيفي لكن هذه المرة إلى قسم التلفزيون، وبالفعل حصل له ما كان يتمناه ونقلت خدماته إلى قسم التلفزيون ليبدأ فيه قصة أول مخرج سعودي، وأحد بناة الهوية الإعلامية في المملكة العربية السعودية.

كان تلفزيون أرامكو يعتمد على بث الأفلام السينمائية ودبلجة الأجنبية منها إلى اللغة العربية وبث الصوت والإضاءة والصورة وعلى الإخراج الفني. تدرب سعد لما يقارب السنة وكان حينها جميل حطاب المعروف ببابا حطاب يعمل معه، وعندما شرع تلفزيون أرامكو بإنتاج البرامج، تم الاعتماد عليه لإخراج باقة منها ولم يكن ذلك بالأمر الهين إذ لم تكن أشرطة الفيديو مستخدمة للتسجيل آنذاك، بل كان تنفيذ البرامج يعتمد على بثها مباشرة على التلفزيون. من البرامج التي أخرجها برنامج صحتك والسلامة تبدأ بك، وزاوية الكتاب، والمباراة الثقافية، وفنجان شاي وبرنامج سهرة الاثنين الذي استضاف العديد من الفنانين والشعراء والأدباء العرب والخليجيين ومن ضمنهم طارق عبدالحكيم، عبدالله محمد، طلال مداح، جميل محمود، عبدالقادر حلواني، مطلق الدخيل، محمد زويد، سيد خليفة، عباس أبو شنب الشهير بأبو خداش، وراضي درويش، والمذيع الشهير بكر يونس.

تأسيس التلفزيون السعودي

في عام 1384هـ الموافق 1964م وإبان عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، أُعلن عن الشروع في إنشاء تلفزيون المملكة العربية السعودية وتقدم سعد الفريح للانضمام لطليعة العاملين فيه، وبسبب خبرته السابقة في هذا المجال قبل في وزارة الإعلام وكان وقتها الشيخ جميل الحجيلان وزيراً للإعلام، والسيد فرانك ووارن مدير مشروع إنشاء التلفزيون السعودي وممثل شركة إن بي سي الدولية.

لم يكد يستقر في التلفزيون السعودي حتى تم ابتعاثه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في شهر نوفمبر عام 1964م ضمن الدفعة الأولى للتلفزيون السعودي للاستزادة من التخصص في الإنتاج التلفزيوني، وقد كان ممن رافقه في تلك الدفعة: نهاد عبدالقادر إدريس، ومحمد الفهيد، ومحمد الضراب، وجاسر الجاسر، وصالح الحمدان، وإبراهيم النفيسة.

التحق بمعهد آر سي اي بنيويورك ليحصل على دبلوم الإنتاج والإخراج وعمليات الاستديو، وكلية أنتيوك بولاية أوهايو حيث درس عناصر المسرح والإنتاج المسرحي، كما انخرط في دورة الإنتاج التلفزيوني والسينمائي في بي بي سي لندن عام 1968م، ودرس الإنتاج التلفزيوني في جامعة سيركيوز في نيويورك عام 1971م. استغل وجوده هناك لينخرط في كثير من الفعاليات الفنية صانعاً لا مجرد متلق لها. فعندما درس في معهد درامتيك وورك شوب الذي تخرج منه جيمس دين، و مارلون براندو، والكاتب المسرحي الشهير تينيسي وليامز، قام سعد بإخراج عملين من كتابات وليامز هما "صيف ودخان" و "عربة اسمها الرغبة". ولما التحق بكلية أنتيوك بولاية أوهايو حيث درس عناصر المسرح والإنتاج المسرحي، مثل في مسرحية "كابتن براس بوند" من تأليف الشهير جورج برنارد شو ومسرحية "ترويض النمرة" لشكسبير.

عاد بعدها إلى المملكة محملاً بخبرة عريضة في الإنتاج السينمائي والتلفزيوني، فعُرف برؤيته النافذة وبحساسيته الفنية العالية وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالإتقان الإخراجي وهندسة الصورة، ربما لم يكن قد لبى غاية طموحه من الالتحاق بالكليات والمعاهد الفنية والتزوّد من فنون صناعة المحتوى والاختلاط بالفنانين العالميين، لكن التلفزيون السعودي بدأ بثه وطلب منه العودة للمساهمة في العمل بسبب قلة الكوادر السعودية المدربة.

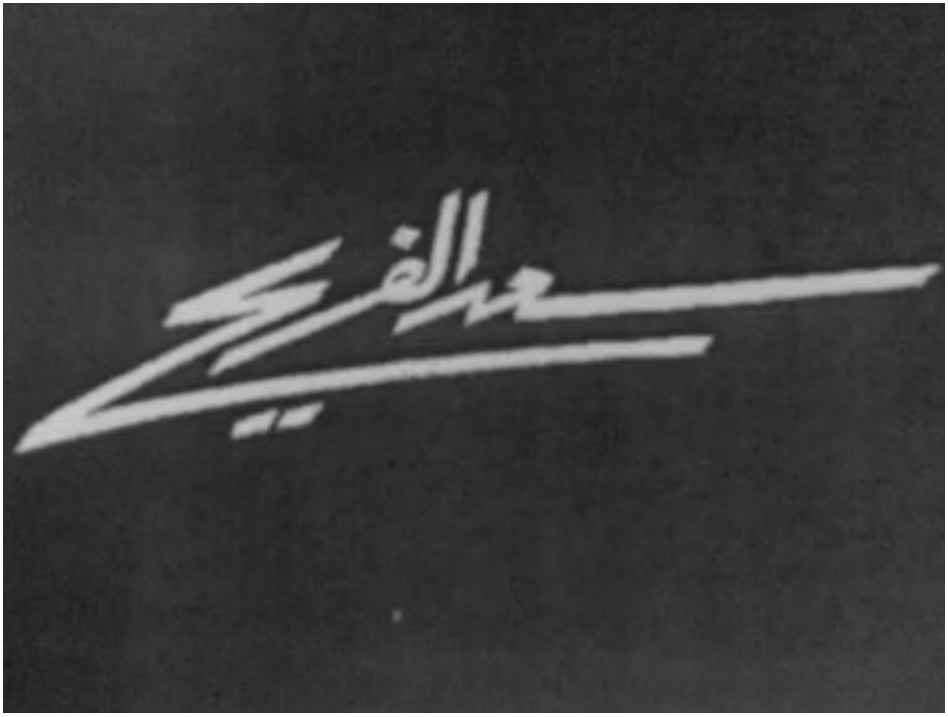

توقيع الفريح الذي كان يعقب عرض أعماله على التلفزيون لا زال لرؤيته تأثير مبهج على من عاصروا تلك الحقبة

رائد الهوية التلفزيونية السعودية

أخرج أول عمل درامي سعودي في تلفزيون جدة وهو أشبه بـ "اسكتش تلفزيوني" كان عنوانه "المجنون" وشارك في بطولته كل من لطفي زيني وحسن دردير وأحمد عبدالعزيز عام 1385 - 1965م.

أخرج أول تمثيلية للتلفزيون بعنوان "العيادة" والتي ظهر لأول مرة فيها الفنان حسن دردير ولطفي زيني. وقام بإخراج أول مسرحية للتلفزيون بعنوان "أنا أخوك أمين" من تأليف طلال مداح، بالإضافة لإخراجه أول فلم سينمائي بعنوان "تأنيب الضمير" من بطولة حسن دردير باستخدام كاميرا 16ملم. أخرج سعد أيضا الحلقات الأولى من مسرح التلفزيون والتي ظهر فيها لأول مرة على التلفزيون كل من طلال مداح و أبوبكر سالم بالفقيه وعمر كدرس ومحمود حلواني و محمد عبده و عبادي الجوهر وآخرون من الدول العربية من ضمنهم محرم فؤاد. و أخرج أول سينما كليب للفنان محمد عبده عام 1966م في أغنية "حبيبي مرني في جدة". كما شارك كمساعد مخرج مع المخرج سليمان الثنيان في مسلسل "البرهان المفقود" من تمثيل عبدالرحمن الخريجي، وقد حصل العمل على جائزة في تونس.

من برامجه الثقافية البرنامج الشهير "الكلمة تدق ساعة" والذي نال جائزة من جهاز تلفزيون الخليج عام 1979م. قام بإعداده وتقديمه الأديب محمد رضا نصرالله حيث سافروا إلى العراق ومصر وتونس والمغرب وعدد من الدول العربية وقابلوا العديد من الشخصيات المهمة في ذلك الوقت من شعراء وأدباء ومفكرين ومن ضمن تلك الشخصيات من السعودية: تركي السديري وعبدالله بن خميس وآخرون، ومن الدول العربية: أدونيس، وبدر شاكر السياب، ونجيب محفوظ، وإحسان عبدالقدوس، وشكري عياد وغيرهم. كذلك أخرج بداية برنامج "العيون الساهرة". أصبح شعار البرنامج فيما بعد شعاراً للأمن العام السعودي.

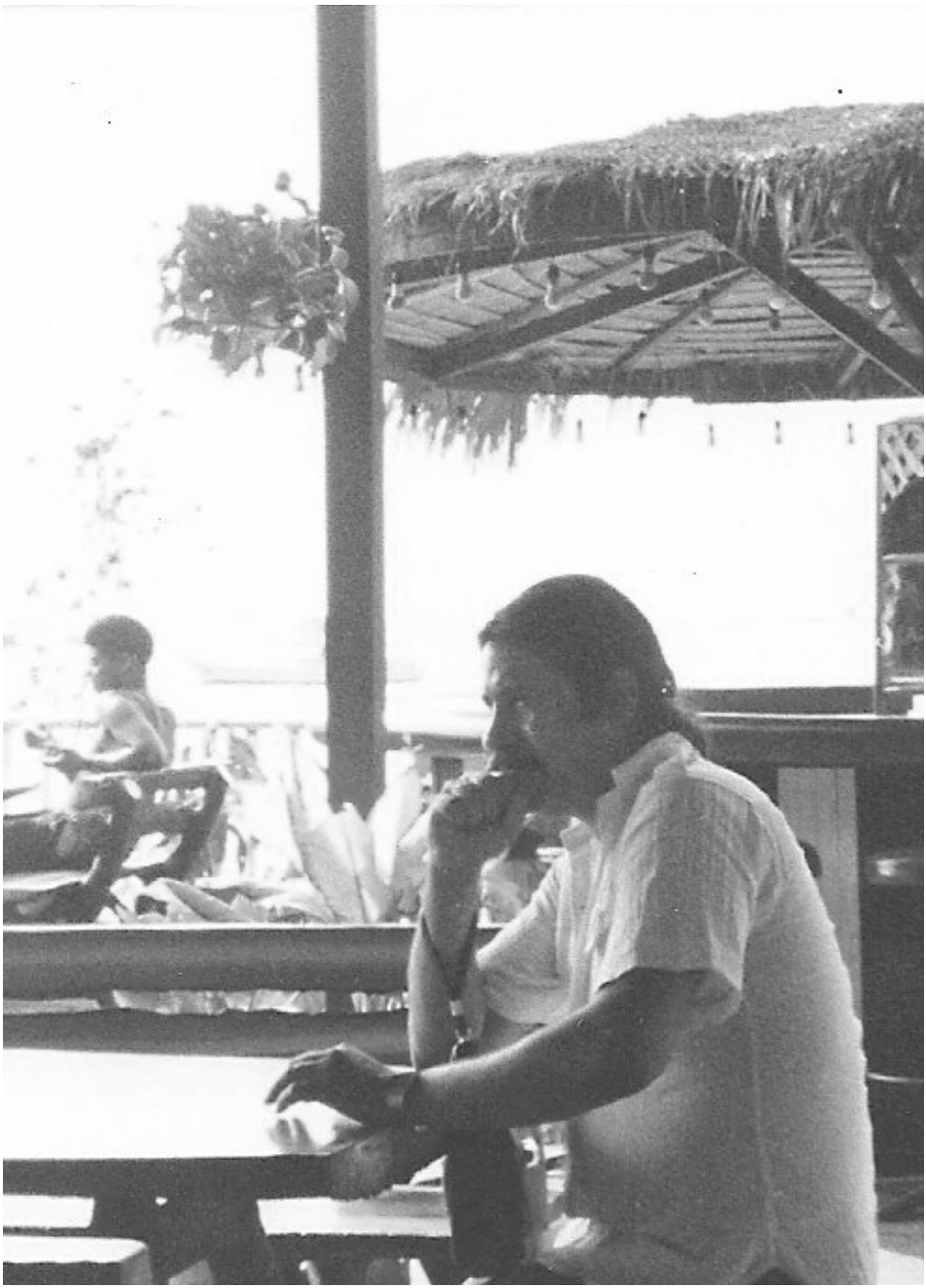

الهجرة

في ظروف غامضة غادر المخرج الفريح إلى لندن بنية الهجرة والتحق بقناة بي بي سي لندن وعمل فيها قرابة الخمس سنوات. وفي زيارة خاصة للملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله إلى لندن حينما كان وزيراً للمعارف، وبرفقته الأمير سلمان بن عبدالعزيز التقى بهم بالصدفة ودار بينهم حديث مطول نتج عنه عودته إلى الرياض. عاد للعمل في التلفزيون السعودي ليخرج العديد من البرامج الوطنية والوثائقية، حيث بدأ بتصوير فيلم عن المملكة بكاميرا سينمائية تنقل خلالها بين مناطق المملكة وذهب بعد انتهائه من التصوير إلى لبنان لتحميض الفيلم إذ لم يكن هنالك معامل تحميض في السعودية. ولسوء الحظ بدأت حرب لبنان عام 1977م حال وصوله، ودُمّر المعمل بالكامل وتلفت جميع الأفلام وعاد إلى السعودية خالي اليدين.

اهتمامه بالبرامج الوطنية وثقة القيادة به

من البرامج الوطنية التي أخرجها الفريح برنامج "الغيث والليث" من تأليف الشاعر محمد بن عثيمين و"نفحات شذا عطر من ملحمة عيد الرياض" من تأليف الشاعر بولس سلامة وبرنامج "أسماء في الذاكرة، هذا هو عبدالعزيز" حيث كان من إعداده ورؤيته و إخراجه وكان آخر أعماله.

يذكر الفنان التشكيلي عثمان الخزيم أن بعض قيادات الحكومة السعودية كانت تطلب سعد الفريح بالاسم ليخرج ويشرف على بعض البرامج الوطنية.

أخرج حفل افتتاح معرض الرياض بين الأمس واليوم في ألمانيا عام 1983م وقد افتتح المعرض الأمير سلمان بن عبدالعزيز آنذاك. ومن برامج المنوعات أخرج الفريح أول برنامج ألعاب سعودي أطلق عليه ألعاب مفتوحة عام 1987م حيث كانت الفكرة مستوحاة من برنامج تلي ماتش الألماني الشهير. كذلك أخرج أول مسرحية مونودراما للفنان ناصر القصبي بعنوان "حلم الحياة" عام 1984م وحصل ناصر من خلالها على جائزة من جمعية الثقافة والفنون وقد قام برسم خلفية المسرح الفنان التشكيلي سعد العبيد.

صائد المواهب

يتذكر الفنان محمد الكنهل ذلك في قوله: "كنت ممن عاصره في فترات على مدى 25 سنة ومن خلال عمل بسيط في التلفزيون عبارة عن سهرة بعنوان سهرة الخليج عام 1402هـ. كان من المخرجين الذي يتميزون بالحس المرهف وبداياتي بالتلفزيون كانت على يديه وكانت أخلاقياته في التعامل وفي مجال الإخراج مميزة. كنت أسمع عنه قبل أن ألتقيه وعندما تعاملت معه وجدت لديه الحرص الكبير على عمله ولم يحالفني الحظ في التعامل معه في غير هذه السهرة. وقد شاهدت له عدة أعمال حيث أخرج عدداً من المسرحيات للتلفزيون وكان إخراجه مميزاً. عندما طلبته مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك للخليج كي يخرج أربع سهرات درامية تصور في الكويت، اختير من بين مجموعة كبيرة بين مخرجي الخليج. وبالفعل أثبت بعد مشاهدة هذه السهرات أنه من أفضل مخرجي الخليج في ذلك الوقت".

اختير سعد ليخرج سهرتين تلفزيونيتين لمؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي عام 1980م وهما "حلم بلا ضفاف" من تمثيل عبدالعزيز الحداد وأحمد الصالح وكاظم الزامل والعراقية هناء محمد وظهرت فيه الممثلة السورية مها المصري لأول مرة على شاشة خليجية، وسهرة "بطاقة عودة من الغربة" من تمثيل محمد العلي وبكر الشدي وعبدالناصر الزاير. كما أخرج سهرة بعنوان "نورة" من تمثيل محمد العلي وأسمهان توفيق حيث كان أول ظهور لها في هذه السهرة.

خلال مسيرته العملية، ساهم في إبراز وظهور عدد من الفنانين على الساحة مثل الفنان سعد خضر ومحمد العلي وعبدالله السدحان وبكر الشدي وعلي الهويريني وآخرين. كما قام بتدريب العديد من الكوادر السعودية الفنية والذين أصبحوا مخرجين فيما بعد أمثال شلهوب الشلهوب، عامر الحمود، خالد الطخيم، محمد الشقاوي، سعد الوثلان، محمد العتيبي، ناصر الصقيه، عبدالكريم السيف وآخرين.

الدقة والانقطاع للعمل الفني

قلة هم الأكفاء الذين حملوا على عاتقهم النهوض بمستوى البرامج والأعمال الدرامية التي كان ينتجها التلفزيون وقد كان سعد الفريح أحد القلائل ممن يملكون العلم والمعرفة في مجال الإخراج التلفزيوني وقد كان أول من أسس لدخول المخرجين السعوديين للعمل في التلفزيون في وقت كانت البرامج والأعمال الدرامية في تنفذ من قبل طواقم عربية حيث عمل الفريح على تدريب وإعداد مجموعة من الكوادر الوطنية السعودية للتصدي للعمل التقني والفني في التلفزيون. وكان أحد المخرجين الخليجيين القلائل الذين يعتمد عليهم في تقديم الأعمال الدرامية الضخمة.

تميز بحماس وإخلاص منقطعي النظير. فلم يكن يستسلم لما يواجهه من عراقل بل كان واسع الذكاء، يصنع الكثير من القليل الذي كان متاحاً له. يُذكر أنه ذات مرة في شبابه استغل وجود الآلات الموسيقية الخاصة بأفراد فرقة الرياض الموسيقية عندما تواجدوا في التلفزيون لتسجيل أغانٍ لمسفر القثامي، فوضعها بشكل منظم على الكراسي في الاستديو وأخذ لها لقطات عرضية وطولية ومتداخلة، وليدخلها ضمن برنامج "اخترنا لكم" الذي كان يعده ويخرجه.

الإتقان والحرص على الجودة العالية لم يأتيا من فراغ بل كانا محصلة لجهد دؤوب منه لإبراز ما يوكل إليه من برامج في أحسن صورة ممكنة يعطي فيها عصارة خبرته وذائقته الفنية المبدعة ما يجعلها تتميز عن غيرها. يصفه المخرج خالد الطخيم قائلاً: "إن عدم رضا الفريح أحياناً عن بعض أعماله يعود إلى طموحه الكبير لإخراج عمل خلاق وفريد".

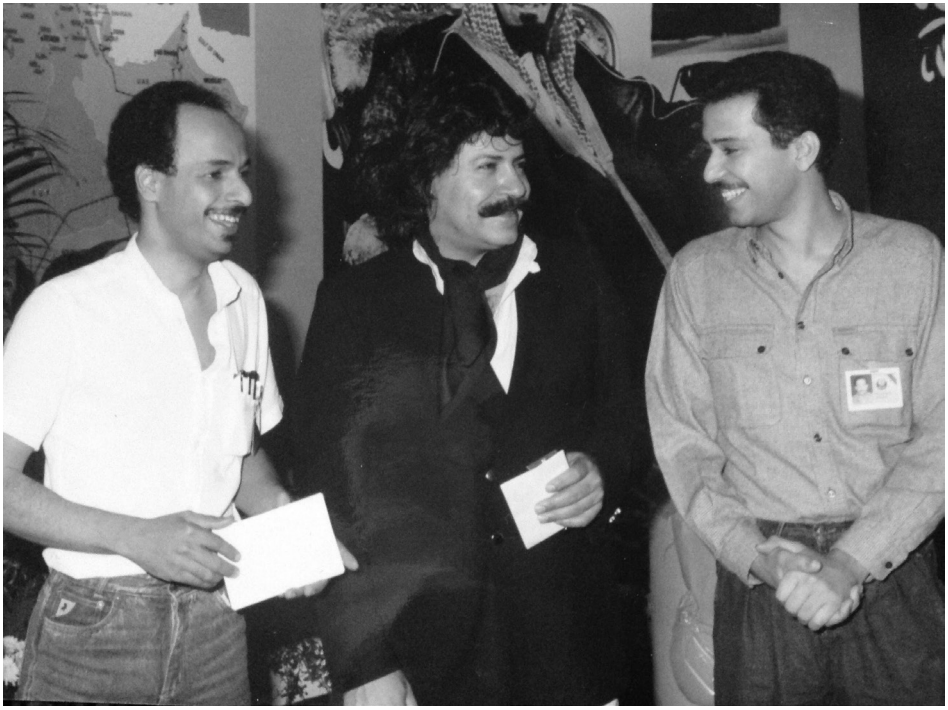

كان له هيبة وحضور مخيف، لكنه بعد انتهاء المشهد يقبل رؤوس من كان يصرخ عليهم ويعتذر عن حدّته وقت العمل

في كوادره ترى مزيجاً من الأصالة والشموخ والاعتداد بالنفس بزواياها وظلالها وإضاءاتها وكأنها تحكي بأن خلف هذه الصور مخيلة فنان يرسم بكاميراته لوحات من نوع خاص قلّ أن تراها في أعمال غيره من المخرجين.

يذكر الكثير عصبيته عند تنفيذ برامجه وهي لم تكن كذلك بقدر ماهي قلق وتوتر ناتج عن حرصه الشديد على جودة العمل والإتقان فيه ينتهي ذلك فور الانتهاء من العمل لدرجة استغراب المحيطين به: هل هذا هو حقاً نفس الشخص الذي كان قبل قليل يوجه وينادي بصوت مرتفع اختلطت فيه العربية والإنجليزية بطريقة عفوية؟ وصل به الحال في جديته نحو إتقان العمل إلى موقف مربك مع أحد الممثلات التي كان دورها يستدعي أن تبكي ولم تكن قادرة في وقته على استحضار الحالة، فصفعها على وجهها، ودارت الكاميرا.

وفي أحد أعماله التي صور فيها فارساً يمتطي صهوة حصان، رفض الفريح الممثل الذي كان سيؤدي دور الفارس وهرع للبحث عن بديل وسط التصوير فوقع اختياره على عامل بسيط في أحد الأروقة. عندما سُئل عما فعل أجاب: "تجاعيد وجه العامل كانت أصدق وأقرب للفارس من الموديل الوسيم".

أوبريت "أسفرَت وأنورَت"

كُلّف في عام ٢٠٠٦م من قبل وزارة الإعلام لإخراج برنامج "أسفرت وأنورت"، والإشراف على تغطية وبث أوبريت حفل استقبال أهالي مدينة حائل للملك عبدالله بن عبدالعزيز إبان زيارته الأولى لها بعد توليه مقاليد الحكم. التقى بالأمير سعود بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز أمير منطقة حائل في جدة في لقاء تحضيري للعمل ولمتابعة الاستعدادات الإعلامية للزيارة، كما التقى بالأمير عبدالعزيز بن سعد بن عبدالعزيز نائب أمير المنطقة وشرع بتصوير البرنامج بأفكار وسيناريو مختلفة ومتميزة تتناسب مع مكانته وقدرته الإخراجية.

في الثاني من يونيو عام ٢٠٠٦م، بدأ بالتحضيرات للعمل في مكتبه بنفس الفندق الذي كان يسكنه في حائل، ثم التقى بالمسئولين بمطار حائل يتقدمهم الأستاذ حسين المطاوع، وقام بترتيب مواقع الكاميرات في المطار بحيث يتم تصوير المناسبة بانسيابية وعفوية بدون أن تكون الكاميرات بارزة، وركز على القضاء على ظاهرة التزاحم والربكة خلال التصوير. بعد التنقل في عدة مواقع بالمطار وفي أجواء مشمسة انتقل إلى مواقع تصوير خارجية في ميادين وشوارع حائل، ثم انتقل إلى ديوانية رجف القوافي واستمع لأحد الأعمال التي أنتجتها الديوانية للمناسبة، ثم انتقل إلى مركز المغواة للاحتفالات حيث كان الإعداد لعدد من الفقرات التصويرية التي سيتم تصويرها بعد الساعة العاشرة والنصف ذلك اليوم، ثم عاد إلى السكن لراحة وانتظار وصول بقية المصورين الذي قدموا من الرياض لهذا الغرض. عاد إلى المغواة وصور عدداً من الفقرات بأجواء استثنائية رائعة كان فيها يمازح الجميع حتى بحركاته التوجيهية التي كانت أشبه بإيماءات والد حان على أبنائه، على عكس ما يقوم به بعض المخرجين من حدة وانفعال، وعلى عكس الحالً الذي أعتيد أن يرى عليه في أوقات التصوير.

كان من ضمن طاقم العمل كل المصورين الشباب: رشيد المشيقح ومحمد القحطاني وفيصل المطيري. خالد الباحوث -المصور في تلفزيون حائل- الذي كان ملازماً لسعد ذلك اليوم يروي أن الفريح كان يتحدث عن إعجابه بعدد من الوجوه الشابة معه بذلك العمل وقدرتها على إيصاله إلى ذروة حماسه لإخراج متميز لهذا العمل. كما كان يتحدث بحماس عن الوطن وعن حب الناس وعن العطاء. وعندما سأله عن مؤسسته الفنية ولماذا لا يكون لها فرع بحائل، ردَّ بقوله: "لا يا خالد لست من محبي الدنيا ولست ممن يحرص على جمع المال، أنا أبحث عن الإبداع والتجدد وليس في مفكرتي أطماع".

شعر سعد خلال ذلك اليوم بوخزة في صدره عزاها لبرودة المكيف في غرفته ورفض قلق الطاقم عليه وإصرارهم على أخذه للمستشفى بقوله "شوية تعب ويروح" و"المناسبة تستحق أن نتحامل على النفس". استمر في العمل حتى أصيب بتعب شديد فاجتمع بالفريق كاملاً وأوصى كل منهم بالاهتمام بعمله وأعطاهم توجيهاته قبل أن يتوجه إلى غرفته ليرتاح. يقول الباحوث: "عند العودة إلى السكن قال بأنه يشعر بألم شديد ورجوته للذهاب إلى المستشفى فرفض بشدة مطلقة وقال: "تعودت على الآلام وستذهب بإذن الله".

المخرج التلفزيوني في تلفزيون حائل فهد العفنان كان آخر من تحدث مع سعد الفريح ذلك المساء إذ أوصاه الفريح بوضع خطط عمل لتسريع عمليات التصوير وتشكيل الفريق، وحثه على الاجتهاد قائلاً: "لا تنتظروني، قوموا غداً وصوروا بهذا الشكل حسب ما رسمته لكم وكونوا حريصين على الإتقان، أنا واثق بكم".

رضخ الجميع لرغبته في عدم تناول العشاء معهم وتركوه ليأخذ قسطاً من النوم ويرتاح، وكانت نومته الأخيرة.

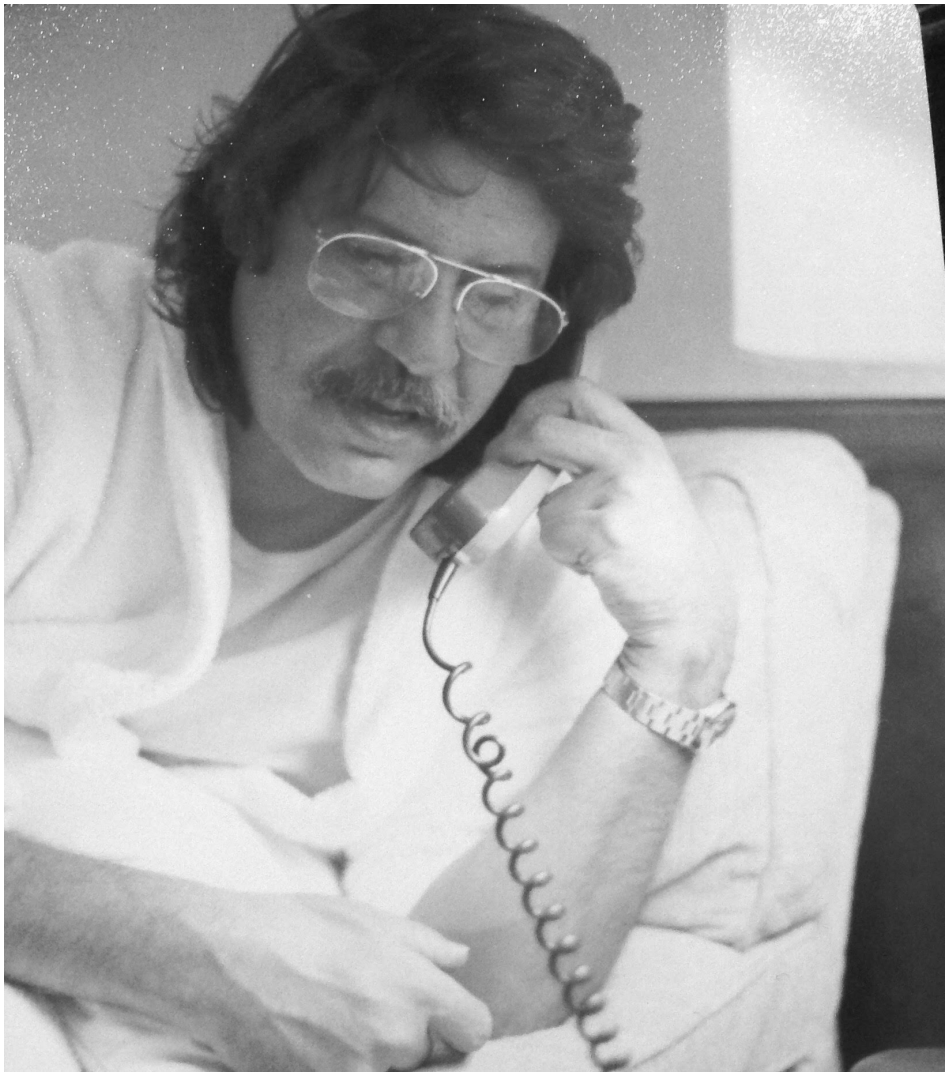

لم يكن أبو وضّاح يدخر وقتاً للراحة عندما يلتزم بتنفيذ عمل

الفنان الملتزم إلى آخر نفس

تفقد طاقم العمل سعداً في اليوم التالي ليجدوا أنه فارق الحياة مستلقياً بوداعة على فراشه. وأسدل الستار على مسيرة أربعين عاماً من العطاء، لم يكن ينوي أن يكف عنها إلى آخر دقيقة من حياته، إذ نام بلباس العمل الذي كان أعلاه صورة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز التي حرص أن يضعها على صدره. وكان مما وجد في حوزته سيناريو برنامجه الأخير الذي لم يرَ النور وعنوانه حسبما اختاره الفقيد "أسفرت وأنورت".

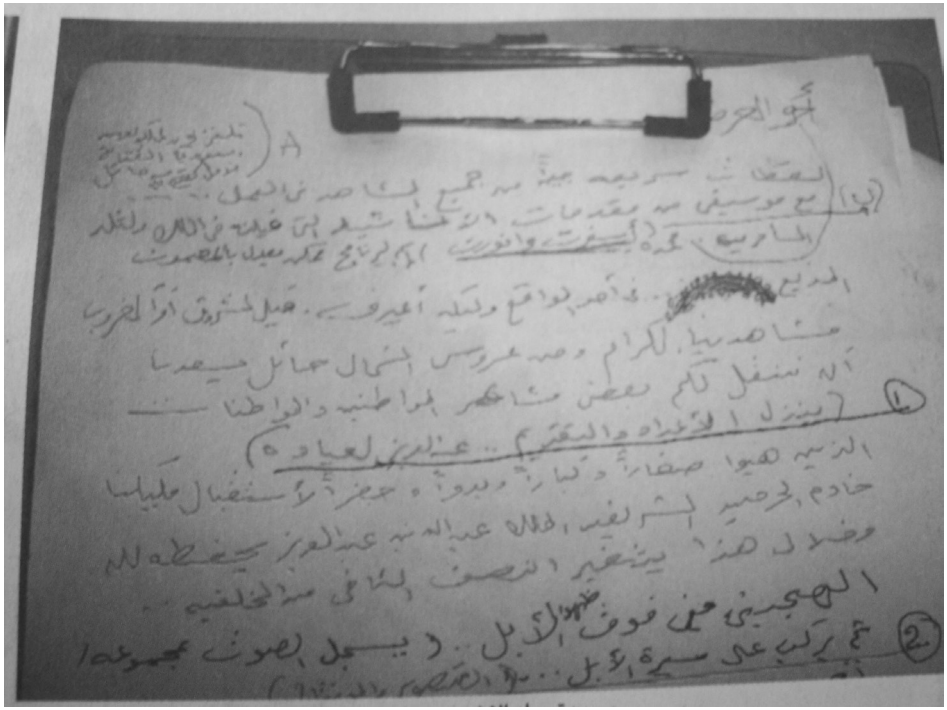

سيناريو التصوير كما خطه سعد بيده

خط بيده السيناريو الذي يشير بالبداية إلى لقطات سريعة جداً من جميع المشاهد في العمل ومقدمة لأناشيد الملك، ثم رسم رحمه الله شكلاً يمثل جبل عيرف وكتب المذيع في أحد المواقع وليكن عيرف قبل الشروق أو الغروب ويقول:

"مشاهدينا الكرام ومن عروس الشمال حائل يسعدنا أن ننقل لكم بعض مشاعر المواطنين والمواطنات

(ينزل الإعداد والتقديم)

الذين هبوا صغارا وكبارا بدوا وحضرا لاستقبال مليكنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله وخلال هذا يتغير النصف الثاني من الخلفية... الخ"

وفي موضع آخر كتب بخط يده أيضاً: "أطفال في الميادين تراهم يتسلقون أحد المعالم ويكتبون عليه بعدة ألوان الملك عزوتنا الملك عبدالله والدنا، الملك عبدالله يابعد حيي أبومتعب قرة أعيننا أبومتعب ياحيي وميتي وهكذا يعني عدة عبارات وكل طفل يكتب عبارة ويتم التصوير من الخلف بحيث تظهر ظهورهم وعلى الظهر صورة الملك عبدالله عبر فنايل تعد لهذا الغرض"

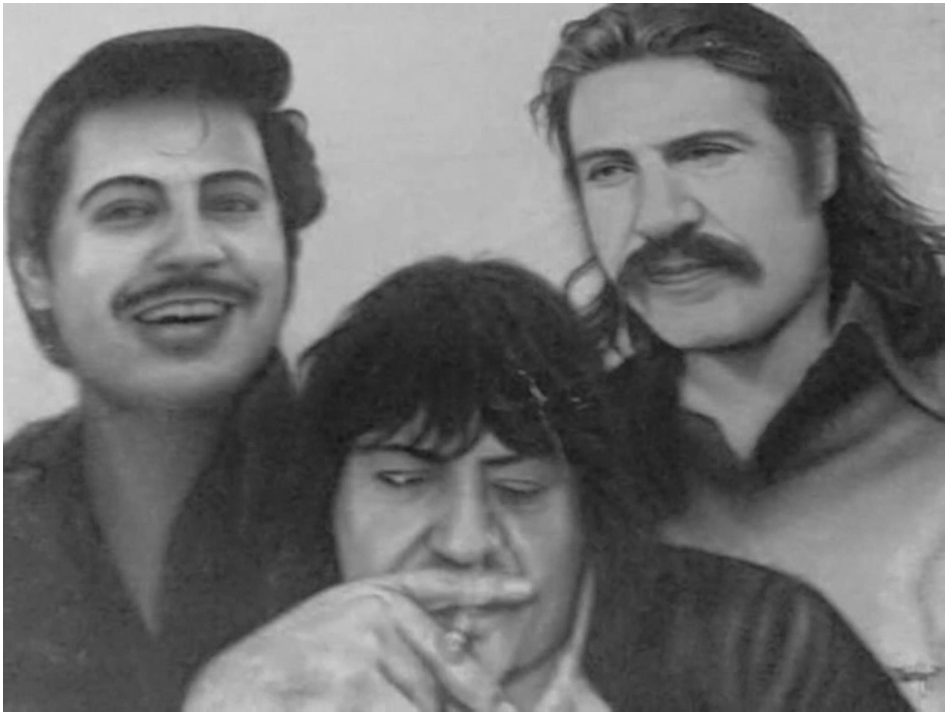

سبعة عقود من الحياة المليئة بالأسفار والأحداث

وكان الاهتمام بوفاة الفقيد الراحل شمل كل أبناء الوطن ابتداء بأمير حائل وسمو نائبه ووكيل الإمارة، كما كان الاهتمام كبيراً من معالي وزير الثقافة والإعلام الأستاذ إياد بن أمين مدني وكل مسئولي الوزارة ورفقاء الفقيد وتلاميذه من كل قطاعات الوزارة المختلفة، وشرع التلفزيون السعودي، القناة الأولى، بمتابعة من الأستاذ سليمان العيدي بتصوير مراسم الصلاة ودفن الفقيد بالمقبرة ومشاعر أحبابه.

وقد أقيمت صلاة الجنازة على الفقيد تقدّمها نيابة عن أمير حائل وكيل الإمارة المساعد خلف بن علي الخلف وعدد من المسئولين وجمع كبير من أهالي حائل وأحباب وأشقاء الفقيد. دفن الفقيد في مقبرة الزبارة وسط أجواء حزينة اختلطت بها عبارات الدعاء له بدموع كل حائل.

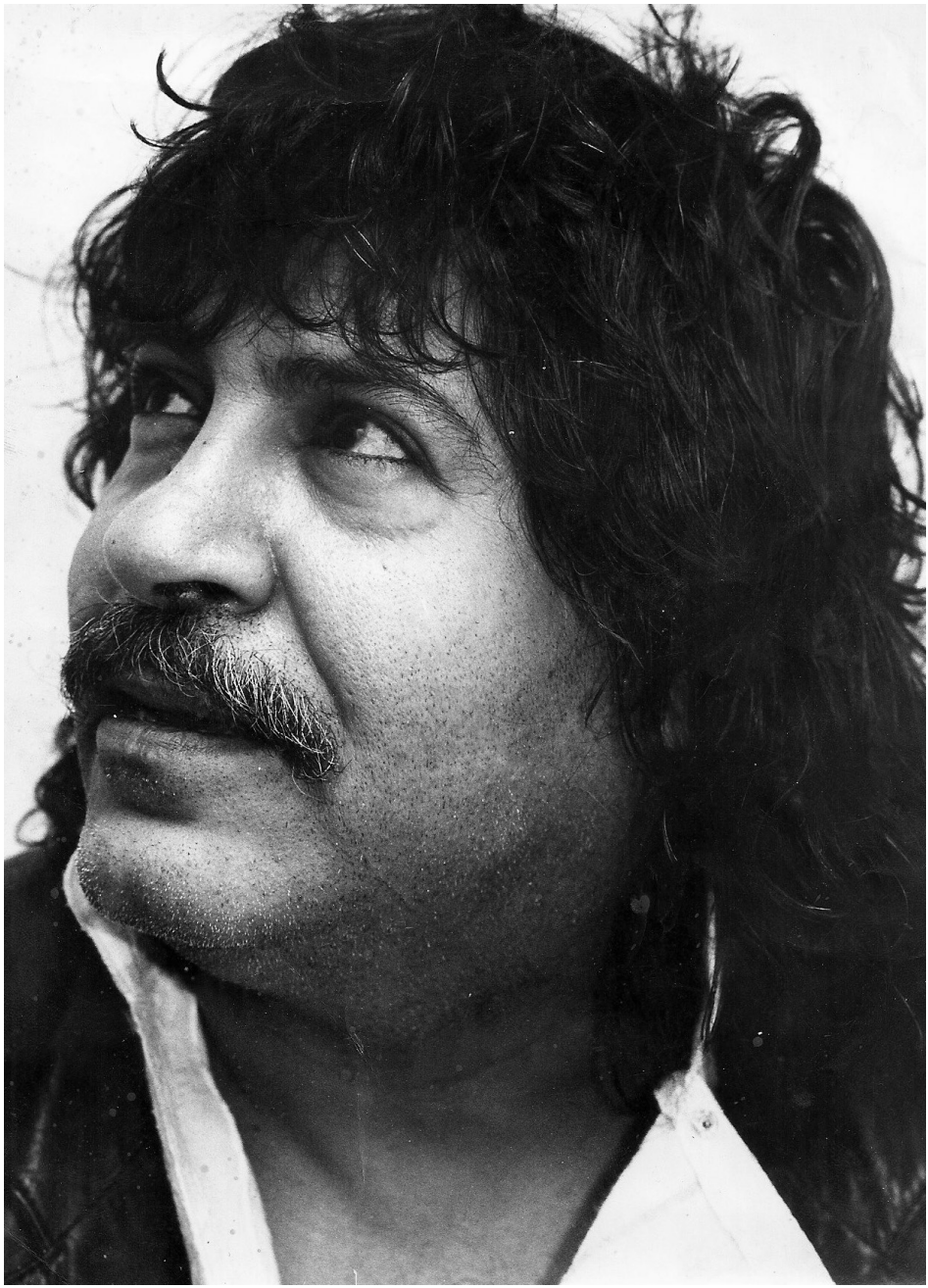

سعد الفريح
في ذاكرة الروّاد والفنانين

سعد الفريح .. ذاكرتنا المرئية

وأنا أفتش في ثنايا الخيال، لفت انتباهي أنه غادر حائل محملاً بالطموحات والآمال، وعاد إليها ليختتم مسيرته في الحياة بين أضلاعها ليكتب نهايته فيها، وكانت وجهته الأولى التي يمم بصره لها المنطقة الشرقية واليوم يحتفى به فيها مجدداً ... يا الهي! إنه ضرب من المستحيل..

هاتان المفارقتان عززت في خاطري أنني أمام شخصية غير عادية البتة، شخصية عاشت لتخلد في الوجدان والذاكرة والإعلام السعودي عن بكرة أبيه. هنا كان لزاماً علي التوقف لأتفحص عن كثب عبارته الشهيرة التي كان يرددها في مسمعي: "ثم ماذا ياهذا؟". سعد الفريح .. سؤال يبحث عن الإجابة.

عندما بدأ يتشكل سعد الفريح، برزت سمات النبوغ عليه وهو يخطو خطواته الأولى في الحياة في قريته الصغيرة بحائل عام 1940م مسانداً لوالده في أعباء الحياة. كانت نظراته تحمل في أعماقها مشاهد مغايرة تماما لما يعيشه، فالتحم بما يجول في داخله وتاه يغوص وينظم الغد المشرق في وجدانه. فقرر سريعاً أن يبدأ حياته التي ينشدها وتتناغم مع قدراته الذهنية، وغادر سريعا للحاق والإنخراط بالعمل في أرامكو بحثاً عن ترجمة ذلك المشهد الذي تجري أحداثه في مخيلته.

محطات وحواجز وأحمال ومهام جسيمة عبرها سعد الفريح كي يصل لهذا الكائن العجيب الغريب وقتها "التلفزيون"، فتعلق بالكاميرا وأدواتها والمشهد وما يحتويه. أدرك عندها أنه وجد ضالته ومصيره ومستقبله وعالمه ودنياه .. هكذا بدأت حكاية سعد الفريح من الشرقية.. رحلة معجونة بالإصرار للوصول للقمة ونجح بمهارة وفن وصدق ليصبح القمة التي عاشت من أجلنا لتضيء الدروب.

يقال أن الحب يصنع المعجزات: فقد اختصر سعد الفريح مشوار التأهيل المهني في تلفزيون أرامكوا سريعا عام 1957م ليبدأ مزاولة الإخراج بكل معطياتها، وهنا التقى بروحه لأول مرة وسبر أغوارها فالقادم المنتظر هو الأجمل، ولأنه كان يعلم أن القادم هو الأجمل المنتظر، فقد غادر عام 1964م ضمن أوائل المبتعثين لدراسة الإخراج التلفزيوني في أمريكا ليعود سريعا ليدير دفة العمل في تلفزيون الوطن الحبيب الذي فجّر فيه كل طاقاته فعمل كافة أشكال البرامج المختلفة، ودرب زملائه، واكتشف المواهب، وصنع نجوم المرحلة وفتح الآفاق لأبناء الوطن رجالا ونساء، ولسنوات طويلة كان خلالها مثالا يحتذى في الإخلاص والصدق والإنضباط والآداء المهني الدقيق والأنموذج والقدوة التي سار على منوالها الكثير من النجوم في فن الاخراج اليوم، وبهذا الفعل والإنجاز المعجزة آنذاك

فقد لعب دورا في تشكيل الثقافة المطلوبة لرفع مستوى الوعي في الشارع السعودي، تسببت في إزدهار وانتشار رسالة الإعلام التنموي التي قادها سعد الفريح باقتدار مثير ومبهر ومشوق للغاية، الأمر الذي أحدث نقلة نوعية في تجربتنا الإعلامية تركت أثرا كبيرا ، ومهدت الطريق لجعل المستقبل المنظور أكثر جمالا.

سعد الفريح الانسان: هذا الملمح لا أحد يعرفه كثيرا ، وقلة من الناس من قرأ سعد الفريح كما ينبغي. لكونه متفردا مختلفا متمثلا في حالة ثقافية وفكرية متطورة جدا فهو يملك إحساس الشاعر، ويختزن معرفة مكثفة في داخله، وحشد من حوله جحافل من الأدباء والمثقفين والمفكرين والفنانين، لاينكف عن القراءة والبحث على الإطلاق بارع تماما في الحديث، بخفة ورشاقة لايضاهيه فيها أحد خجول جدا، عميق جدا، مستشرف للقادم المجهول بحنكة بالغة، معطاء بصورة لاحدود لها، لعل عبد العزيز ابنه يشرق لنا من جديد كمخرج فالإبن سر أبيه، لتهطل شمس سعد الفريح بأشعتها وخيوطها الذهبية تحيك فينا نضجا ووعيا وإداركا يليق بنا.

في عام 2006م عاد إلى حائل لينهي حياته فيها.
وفي 2016م يحتفي مهرجان السينما السعودي بسعد الفريح اعتزازا بما قدمه.. فالصادقون فقط هم الذين يموتون على رأس العمل.

يحي مفرح زريقان
إعلامي وناقد فني

شجرة لا زال الكثير يستظل بظلها

هنالك فناناً يزرع عوداً ليستظل به لوحده، وهناك فناناً يزرع شجرة يستظل الكثير بظلها، ونحن الآن في ظل شجرة العملاق سعد الفريح. وإن كان أغلب الجيل الحالي لا يعرف هذا العملاق الراحل، إلا أنه هرم من أهرام الفن في المملكة. هذا الهرم الذي تخرج من أمريكا ووصل إلى بلاده لكي يمارس الإخراج والتمثل بحب وصدق وبإيمان مطلق بأن الفن رسالة و أن الإنسان إذا وهبه الله هذه الموهبة يجب أن يبلغها لكي تصل إلى الناس. كان موقناً بأن الفن لغة الشعوب جميعاً، فقد تطرب إلى موسيقى غربية وأنت لا تتقن لغة الغرب، وقد تندمج بمشاهدة فيلما هندياً بالرغم من أنك لا تجيد اللغة الهندية ولا تفهمها، ولكن الرابط المشترك هو الإحساس، فما يصدر من اللسان لا يتعدى الأذان، وما يصدر من القلب يصل إلى القلب، وكلما كنت صادقا مع المتلقي، كلما قصّرت المسافة بينك وبينه؛ وتلك كانت رسالة الراحل سعد الفريح التي لمسناها وتعلمناها منه.

كان سعد الفريح ذو نظرة بعيدة، قال يوماً متحدثاً إلي بين جمع من الزملاء: "ستكونون نجوماً"، وكأنه يرسم خارطة طريق الفنان الذي يعمل معه منذ أول عمل، حيث كانت قراءته لمن حوله تصيب دائماً. وعلاوة على ذلك فإنه لم يكن مخرجاً فحسب، بل كان أديباً ومثقفاً و قارئاً نهماً، وضليعا في أكثر من علم من بينها الاجتماع والسياسة. وكان دائماً ما يردد مقولة الكاتب ميخائيل نعيمة "إن أنت أحببتني ملكتني، وإن أنت أبغضتني امتلكتك، فاختر لنفسك أن تكون مالكا أو مملوكا".

عملت مع العملاق الراحل مسلسل وداعا يا صديقي، واجتمعت به في الكثير من المهرجانات، إلى جانب ذلك فقد كانت تربطني به علاقة أخوية وطيدة.

كان الراحل محبوباً من قبل الجميع لأنه صادق صريح مع الكل، ومن يعرفه عن قرب لا يزعل منه أبداً، بالرغم من عصبيته، ولكنه ذو قلب كورقة بيضاء، وأقصد بعصبيته تلك التي تتعلق بمصلحة العمل وليس للأمور الشخصية.

ولعل السياق يدعوني لتذكر أصحاب الجميل بما أنه من أهمهم، مثل الفنان عثمان الورثان، الفنان جاسم الياقوت، الفنان سعد خضر، الفنان محمد مفرح، الفنان العملاق محمد العلي، والفنان محمد حمزة، و آخرون غيرهم لعل الذاكرة لا تسعفني لتذكر أسمائهم ولكن فضلهم باقٍ ما بقي الفن.

كم أتمنى أن يسرح القارئ مفكرا كيف لهذا الرجل أن يعمل في الفن وحيدا منذ خمسين سنة، حيث انخفاض سقف الحرية، وضيق الموارد، في حين أننا بالوقت الحاضر نجد من يشكو وتقل أعماله رغم هامش الحرية واتساع الموارد؟!، لهذا فأنا أعتقد جازما أنه لولا الله ثم سعد الفريح ومن تلوه تباعا لما وصلنا كفنانين، ولما طلب مني اليوم أن أخط هذه الكلمات.

الفنان علي السبع

المخرج الشفاف.. وحيد جيله

إن الصفحات مهما كثر عددها لن تكفي الحديث عن العملاق سعد الفريح. جمعتني به عدة أعمال بدأها بعد عودته من بريطانيا، ومن أبرز تلك الأعمال، فيلم "لا تجرح الشفاه"بمشاركة نيازي مصطفى، والفيلم التلفزيوني "في البدء كان الحب"، وتمثيلية "ابنتي" بمشاركة الراحل محمد العلي، ومسلسل "غريب" بمشاركة علي القن، ومسلسل "حكاية مثل".

كان سعد الفريح صاحب احترافية مهنية عالية، وكان محباً لمهنته لدرجة أنه ينهمك في العمل لمدة خمسة أيام متتالية صائماً عن الطعام لا إرادياً، وينسى الأكل أثناء العمل، علاوة على ذلك فمكتبه يعتبر المكتب الوحيد في التلفزيون الذي يتضمن فراش للنوم فهو ينام في مكتبه أيام العمل، وإذا كان العمل في أحد الاستوديوهات كنا لا نستغرب أنه ينام في الأستوديو بلا غطاء أحيانا. كان هو المخرج الوحيد الذي لم يعمل مع مؤسسة إنتاج محلية خاصة، حيث لم تكن في أيامه مؤسسات إنتاج بل كان يعمل لصالح التلفزيون.

لم يكن يجامل أحداً على حساب العمل مطلقاً، خصوصاً وأنه كان وحيد جيله كمخرج لذلك لم يكن لأحد الجرأة على مناقشته في عمله أصلاً. كان عصبياً جداً، ولكنه يحمل قلب طفل حقيقي، شفاف للغاية، وعصبيته لم تكن تأت إلا لمصلحة العمل، وإن غضب أحدٌ من عصبيته، لا يتردد أن يزوره في بيته ويقبل رأسه معتذراً حدّ البكاء.

الفنان سعد خضر

الرمز الفني "ذو الشعر الطويل"

كتبت الكثير عن سعد الفريح، ولا زال الأصدقاء وزملاء المهنة والمهتمون يسألونني عنه، فيما يعتريني صمت مطبق ينم عن حيرتي فكيف لي أن أختزل تجربة ٥٥ عاما مع هذا المبدع والأخ والصديق في سويعات أو صفحات، وإني كلما وددت الحديث عنه تغلبني دموعي التي تنهمر لا إراديا.

عملت معه قبل أن نرحل معاً للولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الإخراج، فقد تم ابتعاثنا إلى نيويورك ودرسنا في استوديوهات موبيديك، هناك حيث أثرنا استغراب جميع الأساتذة، فقد كانوا كثيرا ما يقولون لنا أننا لسنا بحاجة للدراسة ويشهدون جميعا بأننا نمتلك الموهبة الكافية لمزاولة الإخراج، وقد تفوقنا على جميع دفعتنا بجميع جنسياتهم، وكنا دائما ما نذكر الأخوة المبتعثين بأن الإخراج ليس مادة علمية بقدر ما هو موهبة من الله سبحانه، إنما الدراسة هي تلك التي تتعلق بالتدريب ومعرفة المعدات التي نتعامل معها و بما يتبع الإخراج كالديكور و الإضاءة والحركة، ومنذ أن عدنا ونحن نعمل سويا في تلفزيون جدة ومن خلاله تصدّر جميع أعمالنا لبقية فروع التلفزيون. عملنا معا بنفس الحس الفني حيث أنني أقوم بعمله في حالة غيابه دون أن يشعر أحدا بالفرق، والأمر نفسه يحدث في حالة غيابي، كنا نحمل توأمة فنية قد لا نجدها الآن.

إن أكثر ما يميز سعد هو إخلاصه حد التفاني في عمله لدرجة أنه لم يكن بإمكاننا التحدث إليه في غرفة الكنترول، وليس من صالحك أبدا أن تقطع حبل أفكاره أثناء العمل مهما كلف الأمر، فالصداقة شيء والعمل شيء آخر، وكان مما يميزه رحمه الله أنه يحفظ النص من دون الحاجة إلى الرجوع لورقة النص المكتوبة، وكان يخطط لقطاته حسب عدد الكاميرات باحتراف يثير الدهشة، وبالرغم من أنه أستاذ جيله إلا أن ذلك لم يدع في قلبه غرورا أو كبرا، فقد كان يهتم بأدق التفاصيل داخل بيئة العمل ويعد كل ما هو في مصلحة العمل بنفسه ويحثنا على ذلك، فكنا نعمل سويا في تنفيذ الديكورات، وحتى صباغة حائط الأستوديو.

أما الجانب الشخصي، فكيف يغيب عن ذهني ما حييت ذلك الرمز الفني "ذو الشعر الطويل" ، حتى في مشيته الرصينة و ابتسامته المشرقة، كنا أقرب إلى بعضنا من أصدقاء أو أخوة حتى أنني تشرفت بالتعرف على أبنائه -حفظهم الله- وكنت ولا أزال أبا روحيا لهم بعد رحيله رحمه الله، فأنا لم أفتقد برحيله فنانا زميلا فحسب، بل فقدت سندا و عضدا و أخا سخيا على كافة الأصعدة، فكان يبذل بكل صدق لكل من حوله غير آبه بعوائد ما يبذل ،رحم الله سعدا فقد كان بحق إنسانا وفنانا فوق العادة.

الدكتور نهاد إدريس

الحازم الحنون

العلاقة الحميمية مع الزملاء ممّن يؤدون العمل عند أبي وضّاح قائمة على الإحترام و التشجيع و رفع المعنويات، وهذه كلها وقود محفّز و ضروري لاستمرار عجلة الإنتاج و الإبداع، كلنا يعلم مدى أهميتها، و سعد الفريح -رحمه الله- هو ممّن جُبل على التعامل بهذا الروح البناءة مع الجميع دون استثناء. بهذا الخلق من التواضع وإسداء النصح و الإنتقاد بعيداً عن القسوة و التجريح، بل بإسلوب ينم عن ما يكتنزه قلبه الكبير من حب لخدمة الغير و الوقوف معهم بخبرته، و عشقهً الصادق لهذا المجال دون منة ولا تعالٍ أو غطرسة أو تكبُر. يمكن أن يكون أبو وضّاح من أبرز المتحمسين -على قلتهم- من المخرجين الذين استبشروا و فرحوا بعد عودتنا -زميلي و أخي المبدع الأستاذ محمد مقبل العتيبي و أنا- من الولايات المتحدة الأمريكية. ظهر ذلك جلياً في الدعم المعنوي الذي وجدناه منه، و كذلك المادي متمثلاً في تصديه منافحاً و مدافعاً في وجه من يتصيدون الهفوات و الهنّات في أي عمل يرونه فينبرون مضخمين و مهوّلين، متناسين ما يوجد من إيجابيات على كثرتها، ولم تكن أهدافهم بخافية على مثله بحكَم خبرته الطويلة و تجاوزه هو نفسهً مراحل وتحديات مشابهه وذلك لنجاحهً وتفوقه فحسب!

من المواقف التي لا أنساها في بداية عملي في التلفزيون السعودي في مرحلة ما قبل الألوان، أن الأستديو كان وحيداً فمتى حان وقت البث على الهواء توقف كل شيء له علاقة بالتسجيل و المونتاج على أن يُستأنف مجدداً في اليوم التالي صباحاً أو ظهراً. كانت فرص التدريب على الأجهزة تتم في أوقات معيّنة كأوقات ما قبل التصوير الفعلي، أو فترات التوقف بين البرامج إذا كانت طويلة. في إحدى المرات التي كنت فيها موظفاً متدرباً و متفرجاً كمصور طبعاً، أراد الأخ العزيز محمد الشبانات -و كان من المصورين الأوائل و المتميّزين حينها- أن يكسر حاجز الخوف و التردد الذي يعتري أيّ مبتدئ مثل حالتي فأعطاني سماعة الأذن و التصوير على وشك أن يبدأ و قال لي: أنت أبو ناصر "يعني نفسه" ، و وقف بجانبي، فانتابتني حالة من الخوف الشديد المصحوبة بكل ما يمكن تصوره من الارتعاش و سرعة الخفقان للمفاجأة أولاً، ولأن التسجيل مع مخرج يُسمع صراخه وزعيقه والعمل لم يبدأ بعد، فكيف وقد بدأ بالفعل!! رحمة الله على سعد الفريح المخرج القدير. استمر المشهد وانتهى و أنا لا أعلم كيف حصل كل ذلك دون أن تحصل أخطاء، و حصول أي خطأ يعيد المشهد برمّته من جديد. كل الذي كان يشغل فكري طوال مدة التسجيل العصيبة هو أن لا يظهر صوت تغيير العدسات فيؤثر على مزاجية أبي وضّاح فيحصل ما لا تحمد عقباه، ويكون الضحية أنا. و للتوضيح فإن المقصود بصوت العدسات عند تغييرها هو الأثر الناتج الذي تنقله الميكروفونات بتضخيم عجيب جراء تدوير الكاميرا من مستوى لحجم اللقطات إلى مستوى أبعد أو أقرب حسبً

طلب المخرج، حيث كانت الكاميرات آر سي أي RCA -الأبيض و الأسود- لا يوجد بها مثل هذه التقنية المتاحة حالياً -الزوم و الفوكس- ، والإنسيابية من و إلى الموضوع المراد تصويره شبه معدومة. دخل أبو وضّاح بعد نهاية المشهد إلى الأستديو مهنئاً كعادته و مبتهجاً بالنتيجة التي آل إليها هذا المشهد الصعب، فأشار أبو ناصر -الأستاذ محمد الشبانات- نحوي و قال لأبي وضّاح: "هذا أبو ناصر اللي كان معك على كاميرا3 "، فما كان منه رحمه الله إلا أن شدّ على يدي و هنأني على هذا المستوى من الإجادة أمام الجميع، و مستغرباً و علامات الدهشة والفرح بادية على محياه -رحمه الله تعالى و عفا عنه-.

المخرج سعد الوثلان

أبو وضّاح، عملٌ سينمائي

قبل حوالي 17 عاماً، وتحديداً عام 1999م، جمعني مع سعد الفريح رحمه الله عملٌ وثائقي، بمناسبة مرور 100 عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينة الرياض، وكان محمد الطويان ثالثنا!! وسبق أن كنا، الطويان وأنا، قد عملنا عام 1987م، على فيلم وثائقي عن الصحافة السعودية، من إخراج عدنان إبراهيم رحمه الله، و صادف أن أثار ردود فعل إيجابية بسبب جرأته، مما حفزنا للتفوق عليه في عملنا الجديد، وهذا ما حصل، مع فارق بسيط، أن عملنا عن ذكرى التأسيس لم يلتفت له المسؤولون، بسبب رؤيته الدرامية!! كان أبو وضّاح حريصاً على طرح كل ما هو جديد دوماً، تخنقه الظروف غالباً، لكنه يسعى لإيجاد توافقاً منحازاً له، أكثر مما ينحاز للآخرين.

يظن البعض أن سعد الفريح لا يملك كل هذا الإبداع الذي نتحدث عنه، وهؤلاء لم يقتربوا كثيراً من تجربة الفريح، بل من الأعمال التي كان يؤديها لكي يظل في دائرة الحياة اليومية. وهم أيضاً لم يتيحوا الوقت له، لكي يتحدث عن المعوقات التي تقف في وجه إبداعه، وتحقق ذاته، تلك الذات المتعبة، الباحثة عن بصيص تواصل مع المتذوق الحقيقي للفن، من خلال عمل ظلَّ حلماً يتكسر على قضبان المحاذير.

لقد عاش سعد الفريح في المحاذير، ومات في المحاذير، إنه عمل سينمائي بحد ذاته، عمل يليق بالمهرجانات وبصالات العرض العامة، فلقد جمع بينهما في حياته، وبعد مماته.

الكاتب والروائي سعد الدوسري

الإنسان الفنان

عندما أود الحديث عن سعد الفريح، فمن الضروري أن أبدأ بالحديث عن الإنسان سعد الفريح، فلم يكن هذا المبدع بالنسبة لي مخرجا أقف ضمن طاقمه الفني، بل كان أخاً صديقا ناصحاً ومثقفا، ورجل في قمة الأخلاق والكرم، ويتمتع بشخصية يجمع كل من تعامل معه عن قرب على جمالها.

تعرفت على أبي وضاح في مطلع الثمانينات، جمعتنا عدة مشاريع فنية، وأعتز أنني من بين الكثير الذين تتلمذوا على يديه، ورحيله كان خسارة كبيرة للوسط الفني في الوطن العربي، وليس لي في هذا الحيز إلا أن أدعو له بالرحمة والمغفرة، وعزاءنا أن أعماله لازالت تعيش داخلنا.

الفنان خالد سامي

قصة كفاح حقيقية

تشرفت بالوقوف أمام كاميرا المبدع الراحل سعد الفريح من خلال سهرة "بطاقة عودة من الغربة"، وهي ضمن سلسلة قصص خليجية من إنتاج مؤسسة الإنتاج البرامجي لدول الخليج العربي، في عام 1980م ، وهو أول ظهور لي على الشاشة خارج نطاق المملكة، وكان من ضمن هذا العمل كوكبة من الفنانين، من بينهم أستاذي المنصف السويسي، كما تشرفت أيضا بالعمل معه من خلال البرنامج التوعوي الصحي "سلامتك"، وأعتبر فترة عملي معه هي فترة التأسيس بالنسبة لي كفنان، فقد تعلمت منه الكثير.

سعد الفريح كانت له بصمة واضحة منذ البدايات، فقد أبهرني في طريقته بالإخراج، وأتذكر أنه كان يصور بكاميرا واحدة رغم أن إمكانيات الأستوديو متاحة للتصوير بأكثر من كاميرا، فأسلوبه سينمائي متفرد.

عندما أذكر سعد الفريح فإني أذكر الجرأة والإبداع والتميز والإخلاص، وقصة كفاح حقيقية.

سعد الفريح. خسارة كبيرة ليس بالنسبة لنا كفنانين سعوديين، بل أن الساحة الفنية العربية قد خسرت برحيله أحد أهم الطاقات الفنية، وكم كنت أتمنى أن يتم هذا التكريم في حياته لأنه بالفعل لفنان يستحق كل خير ومحبة.

الفنان عبدالناصر الزاير

علاقة خاصة ومنفردة مع الكاميرا

الفريح من أكثر الشخصيات الفنية السعودية إلهاما، فهنا نتكلم عن رحلة كفاح إصرار وإبداع، وتفرد أيضا، ومن أبرز من دارت على يديهم الكاميرا وشريطها، فقد كان إلى جانب تميزه كإنسان ومعلّم، فهو مخرج له علاقة خاصة بالكاميرا حيث كان يتعامل معها بشكل مدهش يجعلك تظن أنه يتعامل مع إنسان وليس مع جهاز.

عملت مع هذا العملاق من خلال مسرحية مونودراما هي "واحد صفر" كان بطلها الفنان ناصر القصبي، أخرجتها أنا للمسرح، وأخرجها الراحل المبدع سعد الفريح للتلفزيون، وهذا ما يجعلك تنبهر بمستوى احترافيته حيث تعامل مع الكاميرا في معظم استخداماتها من المسلسلات، والسهرات والمسرحيات والأفلام السينمائية والأفلام التلفزيونية، والأفلام والبرامج الوثائقية، كان بالفعل حالة فنية استثنائية تستحق الاحتفاء، فشكرا بعدد ما ألهمنا وبعدد ما عاش فينا من أعماله الخالدة.

المخرج عامر الحمود

سعد التميز

لم يكن سعد الفريح مخرجاً عادياً ولا فناناً عادياً ولا إنساناً عاديا.. بل كان في كل تلك الصفات متميزاً .. وسر روعة تميزه أنها خصلة طبيعية فيه يحملها معه في كل مكان وتظهر عليه في كل وقت. وحتى من لا يعرفه يلحظ منذ الوهلة الاولى أنه أمام شخص غير عادي، فنان متدفق بالإبداع حريص على الإتقان يتفانى في التميز، يغضب ويحتد على من لا يتناغم معه وخصوصاً من يشاركه العمل الإبداعي حينما لا يرتقي معه إلى الحرص والإتقان ليصل إلى درجة الكمال الفني.

و كونه مخرجاً متميزاً فإن ما يعزز خصائصه فيما قدم هو كونه فنان يمتلك عيناً فنية وحساً جميلاً أبدع من خلالهما لوحات فنية أخّاذة في كل لقطة يعرضها وكل زاوية ينتقيها بحس الفنان التشكيلي المتمرس. وكذلك أذناً موسيقية مرهفة يختار بها أجمل الجمل الصوتية سواءً كانت مقطوعة موسيقية أو أداء صوتي أو مؤثراً صوتياً يعبر من خلاله مكنونات ما يبتغي توصيله للمتلقي. وفوق ذلك كله فهو ذو ذائقة شعرية راقية، محب للشعر بشتى أشكاله، يطرب للكلمة الجميلة وموسيقاها ويهيم في معانيها وصورها.
من عاشروه وجدوا فيه إنساناً متميزاً في كل ما يملك، بلفتاته وطريقته في التعبير عما يختلج في داخله من مشاعر. وهو لا يجامل ولا يحابي في إبداء ما يراه صائباً دون أن يلتفت لما يمكن أن يقال فهو يمتطي الصدق دون تردد حتى لو كان صادماً بوعي ناضج وأخلاق الفارس.

ومع هذا وذاك فهو ذلك الإنسان ذو المشاعر المرهفة والأدب الجم والخلق الرفيع، عاشق للجمال بكلفة صوره يتدفق حباً و يعطيه بسخاء و بلا حساب.
كان رحمه الله أيقونة في الإبداع ورمزاً في التميز...

حسن الحمدان
مدير عام الإذاعة والبرامج في التلفزيون السعودي-سابقاً

الصادقون وحدهم يموتون وهم على رأس العمل

من أين أبدأ؟!
دعني أبدأ بالاسم "سعد الفريح" حينما أقرأه أحس أنني أمام هامة والاسم نفسه حينما أقرأ حروفه وتفاصيله أشعر بهيبة صاحبه وكأني أرى تلك القامة المميزة بالشعر الطويل والمشية المميزة والكارزما الخاصة النادرة أمامي واقفاً بشموخه واعتزازه. وأتذكر ظهور توقيعه المميز الذي يملأ الشاشة ويختتم به أعماله، ظهور اسمه بهذا التصميم الفريد الذي بدأ به مسيرته الفنية منذ خمسين عاماً بنفس الأسلوب المميز والفريد بالأسود والأبيض واستمر بالألوان وزاد جمالاً وبهاء.

دعني أتحدث عن سعد الفريح الأب... سعد الفريح رحمه الله كان أباً حنوناً حساساً عاطفياً لأقصى الحدود ويتأثر من أبسط الأمور، كان يحضننا كثيراً نحن عائلته، وأصدقائه المقربين دائماً ما يأخذهم بالحضن الدافئ المليء بالحب والنقاء. سعد الفريح توفي منذ عشر سنوات ومازال أحبابه وأصدقائه يبكونه ويفتقدون ابتسامته الجميلة. كان كتوماً مليئاً بالأسرار، لم يكن يتحدث عن نفسه إطلاقاً ويؤسفني أنني عرفته جيداً بعد وفاته وكل يوم يأتي "أتعلمه" وأكتشف تفاصيل جديدة بدون مبالغة. سعد الفريح كان مجلسه الخاص متحفاً مميزاً تملأ جدرانه لوحات لفنانين عالميين وصوراً ضخمة لنجوم هوليوود الكلاسيكيين والتحف الفنية النادرة التي جمعها من أنحاء العالم. بالإضافة إلى جميع أجهزة الصوت التي تملأ المكان بدءاً بالاسطوانات والكاتردج والكاسيت وانتهاء بالسي دي. الأضاءات الخافتة الجميلة وتوزيعهم يفوق الوصف، كان مجلسه مزاراً للفنانين والمثقفين والأدباء، كان مجلساً ثقافياً وقد تفتحت عيناي على هذا الجمال الشكلي والجمال الروحي بالإضافة إلى المضمون الذي كان ما يقلق سعد الفريح في حياته بجميع تفاصيلها كان يهتم بالمضمون كثيراً وكان يكره المظاهر الخداعة ودائماً ما يسميها "بالقشور".

سعد الفريح كان عزيز نفس ولا يقبل بأي عمل يحط من قدره وقيمته وكرامته بالإضافة إلى أنه لم يكن يقبل بأي عمل من أجل المال إن لم يكن مقتنعاً بجودة مضمون العمل.

سعد الفريح عاش بسيطاً ورحل بسيطاً لم يكن يملك ثروة ولم يملك في حياته الكثير علماً بأن الفرص كانت أمامه ولكن لم يهتم بجمع المال ولا التجارة ولا التوسل أو التودد لأحد. كان شريفاً جداً وكان كل ما يهمه فنه وعمله، كان يعمل بعشق وشغف وحب ولم يعمل في حياته من أجل شي سوى ممارسة ما يحب. كان يتقن عمله ويموت من أجله ولم يكن يقبل بأنصاف الحلول ويفعل ما بوسعه ومهما كلف الأمر ليخرج العمل بشكل جيد ولذلك كان ما يسمى بالمخرج العصبي والمرعب الذي يخافه الجميع من أكبر مسؤول إلى أصغر مسؤول. كان ينفعل كثيراً أثناء العمل من شدة حرصه وخوفه وحساسيته ودقته، فكان يغضب ويصرخ أحياناً على العاملين ليس لشيء شخصي إطلاقاً وفي نهاية كل عمل يذهب ليحضن من صرخ عليه ويقبله ويعتذر منه ويتألم ويشرح أنني لم أقصد الإساءة إليك وإنما خوفاً مني على العمل ولا إرادياً.

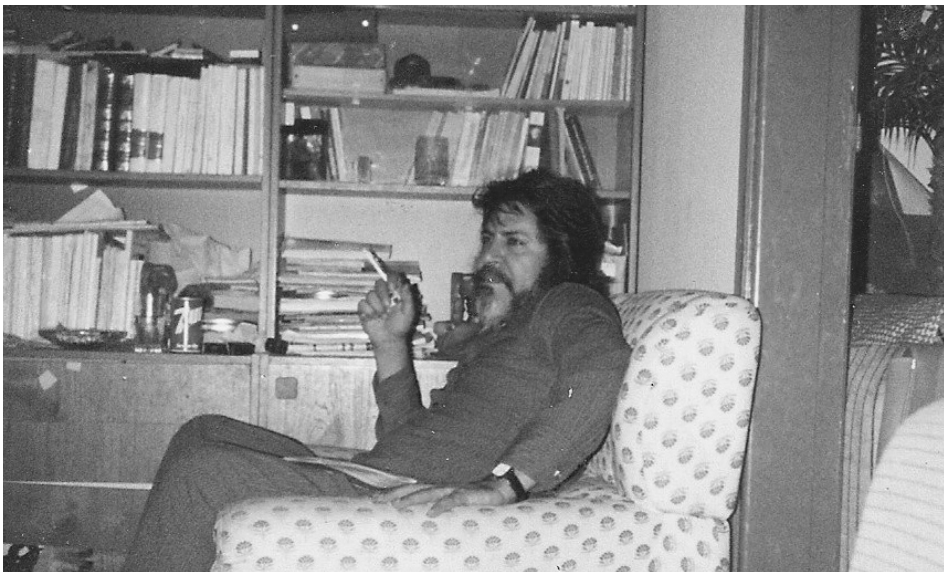

كان سعد الفريح يملك مزيج غريب بين قوة الشخصية والهيبة والحضور المميز والمرعب أحياناً ولكن في داخل هذا الإنسان يوجد إنسان مليء بالعواطف والأحاسيس والرومانسية والقلب الكبير الذي لم يحقد على أحد إطلاقاً وإذا رأى موقفاً سيئاً من أحد يرحل بدون قول شيء.

سعد الفريح كان طموحاً وهمته عالية، لم يكن يقبل بأنصاف الحلول فكان دائماً ما يردد مقولة "ونحنُ أناسٌ لا توسّط بيننا .. لنا الصدرُ دونِ العالمينَ أو القبرُ" وكان يردد "المركز الأول أموت وأحيا به". كان دائماً ما يشحنني ويشجعني على الهمم والتطلع للمعالي ويكره الكسل. عاش سعد حياة طويلة مليئة بالإحباطات والنجاحات والمعاناة. كان دائماً ما يتفوق في دراسته حينما كان في أمريكا وبريطانيا وكان يدهشهم بأنه سعودي ومتميز! وكان يرجع ذلك إلى أمه التي كانت دائماً ما تقول له "أنا العزم ابن الجزم" كانت تشحنه منذ الطفولة وقد صارع في حياته ولم يصل إلى ما وصل إليه بسهولة، فقد تجرع المرار منذ نعومة أظفاره بدءاً بحياته مع والده مروراً بسفره إلى الظهران لمدة ثلاث أيام بطرق سيئة إلى أن وصل إلى الدمام ومن ثم الظهران للعمل في أرامكوا باحثاً عن لقمة العيش ليشاهد بعدها السينما هناك ويعشق هذا الفن ليأتي تلفزيون أرامكو بالصدفة للعمل على فلم للتثقيف الصحي، ويبدو لي كان فيلماً عن الذباب، ومن ثم تطلب مديرته الامريكية مساعدتهم ليحمل الكاميرات الثقيلة والأسلاك معهم ومن ثم غادروا وهو يتمنى أن يغادر معهم ليطلب بعدها من مديرته الأمريكية أن تنقله للتلفزيون و التي كانت بدورها تحب هذا الشاب اللطيف الوسيم لتتوسط له عند مدير التلفزيون والذي قبل به فوراً للعمل في التلفزيون وهنا كانت انطلاقته في المجال الفني في العام ١٩٥٩م.

حياة سعد الفريح فريدة ومليئة بالأحداث والأسفار والخبرات والثقافات. فهذا هو بعد أن استقر لخمس سنوات في أرامكو، ينتقل إلى جدة للمساهمة في إنشاء التلفزيون السعودي وينطلق بعدها في رحلة دراسية إلى الولايات المتحدة لتلقى تعليمه في ولايات متعددة، ومن ثم يعود إلى جدة ليعمل في التلفزيون إبان انطلاقة التلفزيون السعودي، ثم يقرر الهجرة إلى لندن حيث كان متسلحاً بالعلم واللغة والخبرة، ويعمل في البي بي سي لندن لعدة سنوات، فيشاهده حينها الملك سلمان والملك فهد في زيارة خاصة للندن حينما كانوا أمراء ليسألوه "أين كنت؟! نحن في حاجة إليك!"، فيطلبوا منه العودة إلى الرياض، ليستمر بعدها لبقية حياته في الرياض إلى أن كلّف بالإشراف العام على أوبريت زيارة الملك عبدالله رحمه الله الأولى لحائل بعد توليه الحكم ليتوفاه الله في حائل إثر نوبة قلبية أثناء عمله. كان حريص كعادته مما ادى الى اجهاد عضلة القلب ليدفن بعدها في المقبرة التي يسكن فيها والده بعد كل هذه السنين وترحاله وهذه المغامرات! والآن سيتم تكريمه في مهرجان الأفلام السعودية في الدمام والتي انطلق في مسيرته الفنية منها.

يقول الناقد الفني يحيى مفرح زريقان: الصادقون وحدهم يموتون وهم على رأس العمل كما فعل طلال مداح وسعد الفريح ومحمود المليجي!

كنت مميزاً وفريداً يا سعد الفريح في حياتك وفي مماتك وفي تكريم المثقفين لك!! رحمك الله ألف رحمه

سعد الفريح أنت لم تمت! أنت حي في القلب والروح والذاكرة وسأكمل مسيرتك وإرثك بشرف وإخلاص وسأحمل هذه المسؤولية المهمة على عاتقي إلى آخر نفس لي في حياتي.

عبدالعزيز سعد الفريح
صانع أفلام

كل فتاة بأبيها مغرمة .. فكيف إذا كان الغرامُ سعد الفريح

الأب ... أبو جميع الفنانين والمبدعين

عندما يحتفي الكبار بكبارهم .. وفاءً .. وتكريماً .. وكرامة.
أستحضر ذكرى حبي الأول والأحب إلي من نور الحياة ... والدي وحبيبي وقدوتي وأستاذي سعد الفريح رحمه الله. لم يبرح موطنَه في كل خلية من دمي . أكتبه في اسمي ، وأراه في ملامحي ، وأحفظه في كياني . لست هنا لأمتدح أبي ، ولا لأرثي محاسن رمز من رموز الوطن، بل لأحكي شذراتٍ خاصة من أيامي معه.

كل فتاة بأبيها مغرمة .. فكيف إذا كان الغرامُ سعد الفريح !؟!
ماذا أقول عن علاقة استثنائية .. بأب استثنائي .. في زمن استثنائي ؟ هل أبدأ بيومٍ جئتُ فيه إلى الحياة؟ أم باليوم الذي غادر فيهً هو الحياة ؟
وما بين ولادتي ورحيله .. فضاءاتُ شوقٍ، وحكاياتُ حرمانٍ، وقصائدُ ترفٍ. مع أني لم أعش الحياة التقليدية بسبب انفصاله عن والدتيً؛ ولكني كنت مدللَتَه وصاحبةَ الحظوةِ لديه.
لا يبرح دفءُ حفاوته يملأ ذاكرتي؛ عندما كان يستقبلني في بيته، تماماً كماَ يُستقبل العيد؛ بكل مفردات العيد . يغمرني في ديابيج الزهو والتيه، يشعرني أنني سيدةُ قلبه الأولى، وفرحتُه الأولى. يدللني كأميرةٍ أمنياتها أوامر، ورغباتها لا تحتمل التأجيل!

لازلت أذكر دهشتي قبل أكثر من عشرين عاماً، كنتُ شابةً صغيرةً في مقتبل الحب؛ أسررت له برغبتي الخجولة في زيارة مبنى تلفزيون. فأجابني من فوره: "غدا ستفعلين". في اليوم التالي أوفى بوعده. أدخلني صَرْحَهُ في الوقت الذي كان دخول النساء أمرا محظورا إلا على مذيعتين أو ثلاث! شرع لي أبواب استديوهات ضخمة، لتصوير المسلسلاتَ والبرامج الفنية والثقافية، وغرف الملابس، مسرح تحت الأضواء، واستديو الأخبار حيث كان أ. ماجد الشبل يقدم النشرة على الهواء. جولةٌ متخمةٌ بتفاصيل الأشخاص والإمكانات والتجهيزات والكاميرات؛ كمدينةٍ إعلامية تقف في مصافِ الدول المتقدمة، وهو يشرح لي بشغف ما يجري خلف الجدران. كنت أحلقُ معه كفراشةٍ مزهوةً بنفسي! كلما سمعت همهمات الموظفين تشير نحوي "هذه بنت سعد الفريح".

كثيرا ما حدثني عن الحضارة الإسمنتية، وأن الحضارة الحقيقية هي التي تبني الإنسان لا البنيان!
كنت أتحسس المرارة في صوته كأنها حية تسعى، عندما أخبرني بعدها بسنوات كيف جاء الأمر بإزالة استديوهات التصوير في تلفزيون الرياض وتحويلها إلى مكاتب "حديدية"، وتحويل المسارح إلى مستودعات! مما وأد أحلامه وقدرته على الإنتاج. فلا يمكن أن تصنع فنا بداخل أدراج المكاتب! كان وقعُ الأمر قاسيا ومحبطا ومؤلما؛ فبقي نائيا بنفسه .. إلى أن تبدل الحال، وتغيّر المسؤولون، وعادت جذوَة الإبداع تتنفس من جديد.

ماذا أقول في أيقونة الوسامة والعنفوان؟ صاحب الشعر الطويل، الشامخ الثائر المعتدّ بنفسه، لا يدخل مَحفلا إلا وتدارُ نحوه الرقاب. كانت شقته في السبعينات الميلادية صالونا أدبيا للنخبة من الشعراء والأدباء والمفكرين من السعوديين والأشقاء العرب؛ وكان اسم "سعد الفريح" البوابة الأولى لدخول الكثيرين إلى عالم الإذاعة والتلفزيون والشهرة. شخصية مركّبة يصعب التحكم بزمامها، ويأبى النسيانُ نسيانَها، يجالس الملوك ويؤاكل البسطاء. لا يأنف من افتراش الحصى والتحاف السماء. لا يداهن ولا يجامل، لا يتملق ولا يتسلق، ولا يستجدي أحدا. يشيد دوما بالموهوبين والمبدعين والفنانين؛ ولا يتحدث عن نفسه أبدا، مرهف القلب رقيق الوشاج، نقي السريرة كنقاء السحابة البيضاء. عاش حياته على مدار ستين عاما في سلسلة من المراحل؛ وكل مرحلة تمثل في مجملها حقبة تاريخية؛ بزمنها وأماكنها وشخوصها وأحداثها. سيرته في الواقع هي رصد لتاريخ الحركة الفنية في المملكة؛ كيف بدأت وتطورت وتألقت .. ثم هُدِمت بمعاول الجهل والحسد والبيروقراطية؛
وبأي ذنب هُدِمت ؟
في حربٍ باردَة .. وساخنة .. ضد الإبداع والمبدعين. وهو مع كل هذا يشبه كثيرا من المشاهير في تاريخ العالم؛ صارعوا الجهل بأظافرهم .. وتصدّوا لمعاول الإقصاء في مجتمعهم .. وماتوا فقراء بؤساء؛ ثم من بعد رحيلهم .. نصبت لهم النُّصبُ التذكارية!

تتراءى في مخيلتي ليالٍ كان يسامرُني في مزرعته، بحضرة الشعر والجمال والحب .. والألم! تطلُّ علينا جبال طويق مِن بين النخيل وأشجار الليمون. يطيب له أن يضع رأسه على حجْري، مستلقيا على الأرض ومصوبا فكرَهُ نحو الآفاق؛ في سعادة باذخة كأنما حيزت له الجنة بمَا فيها. يفتح لي مغاليقَ قلبه ونوافذَ أَسراره؛ يقلّبُ صفحاتَ ذاكرته عنْ مسقط رأسه حائل في أوائل الخمسينات، وحكاياٍ شقاوته تطلق ضحكاته أنغاما وورود. ثم على ذكر الطفولة يباغتُه السكوت! تلمعُ في عينيه دمعةٌ وكأنّ البحر على عظمته سكن بداخلها! تنحدر علَى كفي اَعتذارا عن غيابه وانشغاله الدائم. يقول لي أن التعمّقَ في فَهم الحياةِ يفسدُ الحياةَ على صاحبها، لذلك البسطاءُ الأطفالُ أسعد من غيرهم؛ وأنا أستمد سعادتي منهم.

لطالما أحبّ أن أقرأ له كتبا ينتقيها بعناية من رفوف مكتبته، وينتشي طربا بإلقائي قصائد الشعر على مسامعه. يناقشني فكرا وأدبا حول شخصيات؛ يزمجر غاضبا إنْ اكتشف جهلي ببعضهم! فالجهل في قانونه إعاقةٌ لا تُغتفر! وحين يتلبسه الشغف، يتحدث بكلتا يديه، يحرك أصابعه في الهواء، ويفتح ذراعيه نحو السماء! يصرخ بحماسة المقاتلين، ويضحك بتلقائية الأطفال!

تبهرني براعته في تخطي حواجز الكلمات، والسرد المسترسل مع قوة الذاكرة ودقة التواريخ في اليوم والشهر والسنة؛ في حوار مُفرطٍ في العبقرية، وصمتٌ غارقٌ في الجاذبية . وعندما كنت أتغزل فيه إطراءً وإعجابا .. ينظُر إلَيّ من تحت نظارته الصغيرة ويقول : "الرجال يقتلهم المدح ؛ فلا تقتليني!".

ماذا أقول في رجل .. اليوم برفقته بأربع وعشرين فرحة، وكل فرحة بستين دهشة. يجعلني أكتشف العالم وكأنني خرجت لتوّي إلى الدنيا. كان شغوفا بإدخالي إلى عالمه وإشراكي اهتماماته الفنية فيعطيني أشرطة فيديو لأفلام عالمية أشاهدها وحدي ثم يناقشني لاحقا في تفاصيل الإخراج والإضاءات والصورة وحركة الكاميرا والخدع السنيمائية. حتى حينما يشرع بتحضير فيلم أو تصوير برنامج كان يهاتفني وإذا سألته: كيف حالك ؟ يبدأ بشرح تفاصيل العمل، وكأن هذا هو حاله! لم أكن أفهم حينها لماذا يحرص على أن يقحمني في أمورٍ هو يعلم أني لا أفقه بها لصغر سني ؟
كبرت يا أبي! كبرت كثيرا .. وفهمت .. أنك لم ترو لي القصصَ عبثا؛ وكل شيء أخبرتني به .. وكل مكان أخذتني إليه .. قصدتَ أن تغرس بي حبًا، أو تعلمني علما، أو تهبني حكمة!
علمتني أن بكاء الرجال ليس عارا؛ بل في بعض المواطن رجولة وإنسانية ..علمتني أن للحب أوجهٌ كثيرة ومسافات متباينة وليس بالضرورة أن تكون قريبا لتُحب أو تُحَب
علمتني الحرية وبغض العنصرية وحب المساكين والمستضعَفين ..
علمتني العشقَ .. وليتك لم تفعل!

كم أبكتني عبارةٌ لم أسمعها منه شخصيا، ولكنهم أخبروني بعد وفاته أنه كان يرددها كلما جاء على ذكري ليبين مكانتي عنده: "أمي .. ومن بعدها سلافة "!
كلماته الشاهقة تموج في رأسي، وذكرياته تنتحب في حواسي. لا أنسى صبيحة عقد قراني كيف كان يجهز بنفسه ديكورات الحديقة في مزرعته استعدادا للمناسبة؛ يداه مغمورتان بالطين والأسمنت تحت أشعة شمس الصيف. رأيته يغرس بيديه شجيرات الورد على جانبي الممرات، رغم وجود العمال والمُزارعين بجانبه، قال لي وابتسامته العذبة تتدفق من وجهه "أزرع الورد لأجل الورد".
ولعل أكثر لحظاتي وجعا .. في إحدى زياراتي له؛ جاء وقت الوداع بعد انتهاء العطلة الصيفية واضطراري للسفر لبدء العام الدراسي، أوصلني إلى مطار الملك خالد الدولي؛ وأمام بوابة السفر33 .. ودّعني بحنان لم أتحمّله، اقتربت منه وتعلقت برقبته وبكيت؛ فاحتضنني بقوة وقبّل رأسي وأطال العناق حتى بكى! لم يتحرّج من وجود الغرباء، ولم يبعدني عنه لتجنب نظرات المتطفلين. ثم مضيت لبوابة السفر أجرجر قلبي بين قدميّ. أقلعت الطائرة، وإذا بأحد المضيفين يتقدم نحوي حاملا بيده هدية، مغلفة بأناقة، تختبئ بها رسالة مخطوطة بيد أبي تئنّ كلماتها ألما لفراقي، وتتقافز فرحا بانتظار زيارتي في الإجازة المقبلة .. أذهلتني مفاجأته! برقّة ورهافة متناهية أحسّ بجوانحي الصغيرة تنتفض بين ذراعيه؛ فأراد أن يربّت على صدري بطريقته! ما زادني ألما واشتياقا وأدخلني في نوبة نواح طوال الرحلة .. حتى وصلت.

آه يا أبتي .. شوقي إليك يفتُّ كبدي ، أذوب حنينا إليك! أحبك بكل أسماء الحب وصفاته ..

لم تغادرني نغمة صوته مذ آخر مرةٍ هاتفني بها ، قبل عشر سنوات. ضحكته المميزة لا زالت تتردد أصداؤها في حنايا وجداني ودمي وعظمي. قال أنه مشتاق لرؤيتي ودعاني بحرارة لزيارته حالما يرجع من حائل بعد إخراج أوبريت استقبال أهالي حائل لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز. وبعد تلك المحادثة بأسبوع .. أبلغوني أنه فارق الحياة!

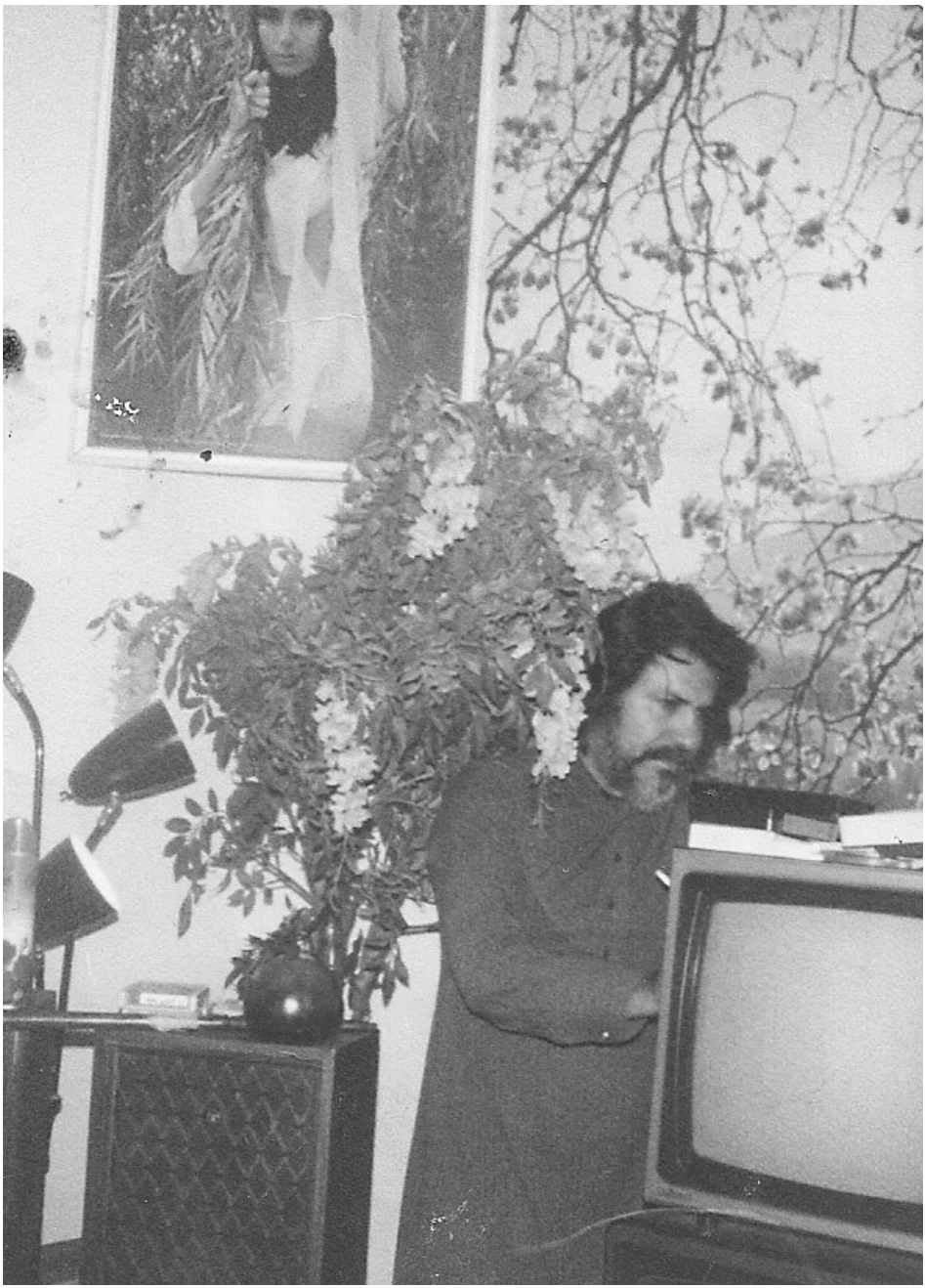

كدت أبتلع لساني فلا يجري عليه سوى وخز الآهات وحشرجة الوجع . ضعت في رثائه فلا أدري أأذرفه شعرا ؟ أم أنزفه نثرا ؟
أتمنى لو أنك تعود يا أبي لأسكب نفسي تحت قدميك، وأتذلل بين يديك. أشهد أني لم أعرف الحزن قبل رحيلك الفاجع.
في أيام العزاء كنت أتمنى لو أنني رجلا لأتقبل العزاء من أصدقائه ومعارفه ومحبيه وأسمع منهم مواقفه ومثالبه وأرى دموعهم التي سكبت على رحيله.
أذهلني حب الناس له والجموع الغفيرة التي جاءت لتعزّي من كل مكان واتصلت بالهاتف؛ وكان في مقدمتهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز أطال الله بقاءه حينما كان أميرا للرياض آنذاك. ولا عجب فلطالما حفظه الله كان يدعم مسيرته الفنية ويثني على أعماله وجهوده في كل مناسبة يراه فيها .
لم تقو السنين على إخماد ألمي ؛ ولكن عزائي أن دماءه تجري في عروقي وقلبه يخفق تحت أضلعي . يمَسُّ قلبي كل من يشبهه أو يذكره أو يدعو له بالرحمة والمغفرة .
غفر الله له وجعل قبره روضة من رياض الجنة آمين
..
أختم بلمسة وفاء لمن يستحقون مني الوفاء ..
الشكر والتقدير وعظيم الامتنان وبالغ العرفان لإدارة مهرجان أفلام السعودية من أعلى الهرم أ. أحمد الملا إلى جميع الجنود خلف الكواليس الذين ساهموا في هذا الكتاب لتكريم ذكرى والدي سعد الفريح. مع أن التكريم الرسمي الذي أتأمله أن يأتي من "وزارة الثقافة والإعلام" للرجل الذي نقش اسمه في ذاكرة التلفزيون السعودي خمسين عاما وأفنى عمره فيها إلى آخر لحظة من حياته!
بأن ترمم أعماله التلفزيونية والسنيمائية المتراكمة في أرشيف التلفزيون بعد أن أتلفها الدهر، ومن ثم يُعاد عرضها في برامج القناة الرسمية لترسخ ذاكرة الأجيال الجديدة بتاريخ الفن والتلفزيون السعودي، وأن تسمي أحد المعالم أو الشوارع باسمه كما وعدونا بعد وفاته؛ تكريما لتاريخه، ولأنه من القلائل الذين لفظوا أنفاسهم الأخيرة أثناء مهمةٍ في خدمة الوطن .
الدول القوية لا تنسى روادها وتسعى لتذكير شعوبها بهم جيلا بعدً جيل . ولكن للأسف التاريخ الفني في بلدنا ذاكرته ضعيفة!
وأخيرا إلى كل الفنانين الذين جاؤوا لهذا المهرجان يحملون أحلامهم بين أكفّهم: إن أبيكم سعد الفريح أبي المخرجين والمبدعين كم كان سيكون سعيدا بكم وفخورا بكفاحكم؛ فلكم كل التحية والإعجاب.

سلافة سعد الفريح
كاتبة ومصورة فوتوغرافية

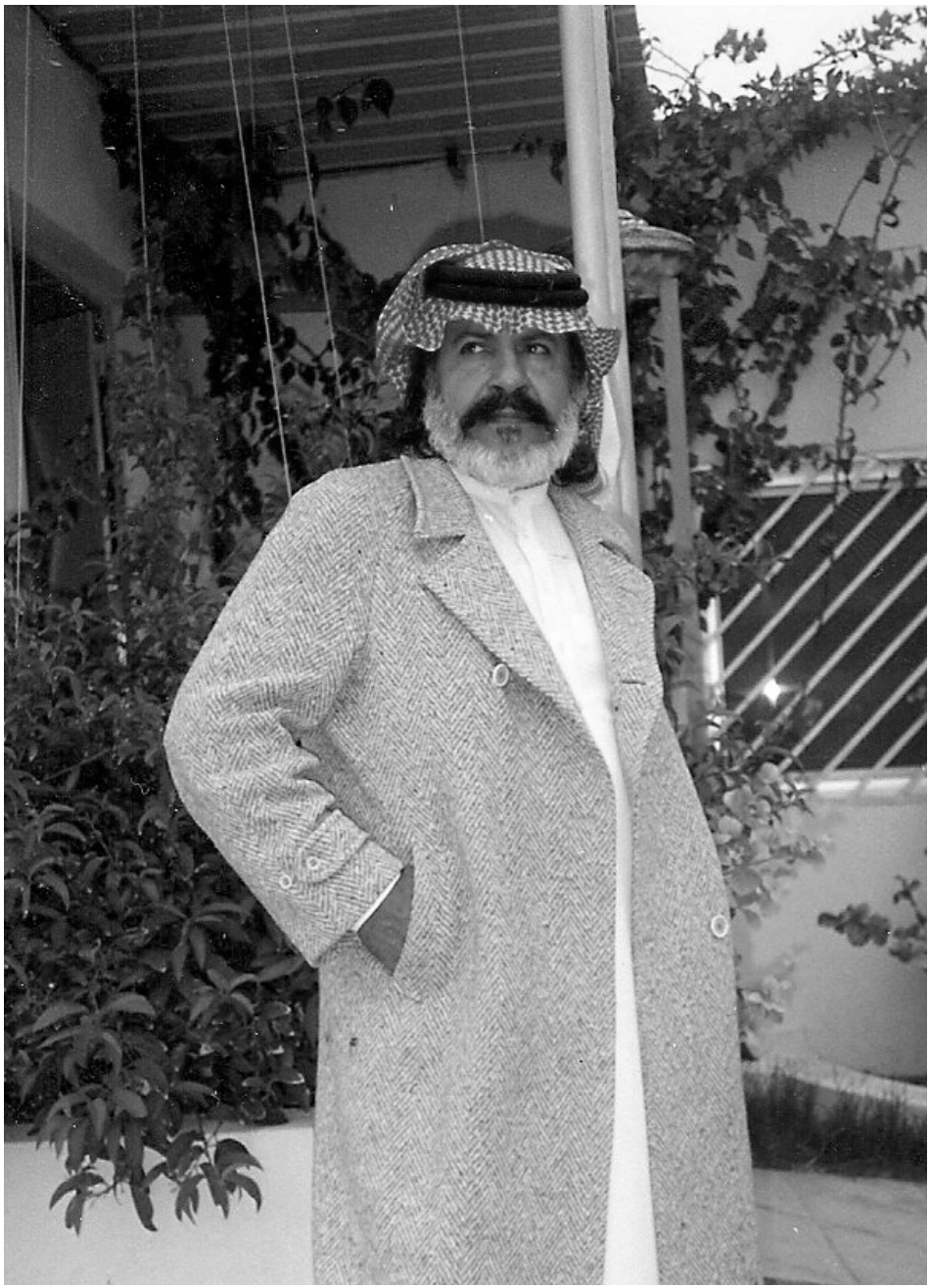

فنان بالفطرة

عندما تأسس التلفزيون وبدأ بثّه بالأبيض والأسود، لم يكن أحد يعرف معنى كلمة إخراج، وكان أكبر حلم ممكن أن يرد على بال أحد هو أن يكون مذيعاً فيه؛ أما سعد الفريح فقد عُرف مخرجاً منذ ذلك الحين، وعرف هو نفسه بأنه صاحب رؤية إخراجية، ولم يُسبق إلى ذلك أبداً.

لن أجد مخرجاً أقسى منه، ممكن أن يكسر الكاميرا من غضبه، وفي ذات الوقت لم أجد ألين منه عند التعامل مع طاقمه. من يعمل معه يستطيع أن يراهن على أي شيء، فقد كان فناناً حقيقياً، يرسم الصورة كاملة في رأسه ولا يسمع كلام أحد فيه.

عندما تزاملنا لتغطية معرض "الرياض بين الأمس واليوم" في ألمانيا، كان الأمير سلمان بن عبدالعزيز هو الذ يطلبه بالاسم ليشرف على العمل. لم يسبق لمسؤول حكومي بهذا المستوى أن يطلب شخصاً باسمه للإشراف على برنامج.

واجه العديد من الصعوبات ولم يكن أحدها تأسيس نفسه فنيّاً، فقد كان فناناً بالفطرة ليس في الإخراج فحسب بل في الشعر والموسيقى والتشكيل وغيرها؛ إنما تجسدت الصعوبة التي واجهها في مواجهة جهل الآخرين برسالته العظيمة. كم تمنيت أن يكون موجوداً هذا الوقت ليرى هذا التنوع في الإنتاج والفنون .. وليشهد نتاج الجهد الدؤوب الذي بذله.

عثمان الخزيم
فنان تشكيلي

أعمال سعد الفريح

اسكتش المجنون(سهرة تلفيزيونية)	1965
مساكم الله بالخير(برنامج)	1966
مسرح التلفيزيون(برنامج)	1966
حبيبي مرني في جدة(فيديو كليب)	1966
تأنيب الضمير(فيلم)	1966
العيادة(تمثيلية)	1966
أنا أخوك أمين(مسرحية)	1967
الوجه الآخر(مسلسل)	1968
اخترنا لكم (برنامج)	1972
من فارق الخلان (فيديو كليب)	1972
مقادير(فيديو كليب)	1972
البرهان المفقود(مسرحية)	1973
أيام لا تنسى(مسلسل)	1974
في البدء كان الحب(مسلسل)	1975
نوره(مسلسل)	1975
قطاف الخبرة(برنامج)	1976
الكلمة تدق ساعة(فيلم وثائقي/ تسجيلي)	1977
بنتي (مسلسل)	1977
الموعد المنسي(سهرة تلفزيونية)	1978
متى تبتسم الشفاة(سهرة تلفزيونية)	1979
سهرة الخليج(سهرة تلفزيونية)	1981
حلم بلا ضفاف(تمثيلية)	1982
بطاقة عودة من الغربة(سهرة تلفيزيونيه)	1984
حفل نادي الهلال السعودي(سهرة تلفزيونية)	1984
حلم الحياة (مسرحية)	1984
الرياض(فيلم وثائقي/ تسجيلي)	1986
ألعاب مفتوحة(برنامج)	1987
صرخة(فيديو كليب)	1988
ألعاب مفتوحة"القهوة"(برنامج)	1988

1988 رواد ومواهب (برنامج)
1995 نفحات شذا عطر مِن ملحمة عيد الرياض (فيلم وثائقي/تسجيلي)
1997 بطل التوحيد والحضارة(وثائقي/تسجيلي)
1997 ليالي العيد(برنامج)
1998 وجهاً لوجه (برنامج)
1999 معكم على الهواء (برنامج)
2000 الغيث، والليث(فيلم)
2004 أسماء في الذاكرة(فيلم وثائقي/ تسجيلي)
بنيتي(تمثيلية)
فوق الرمال الحمر(فيديو كليب)
معرض الرياض بين الأمس واليوم(فيلم وثائقي/تسجيلي)
الإرهاب الدولي وموقف المملكة العربية السعودية مِنه(فيلم وثائقي)

كذلك عمل كمدير فريق عمل في البرامج التالية:

2005 مكسرات
2004 أسماء في الذاكرة (فيلم وثائقي / تسجيلي)
2006 خارج الأقواس، وأوبريت أسفرت وأنورت

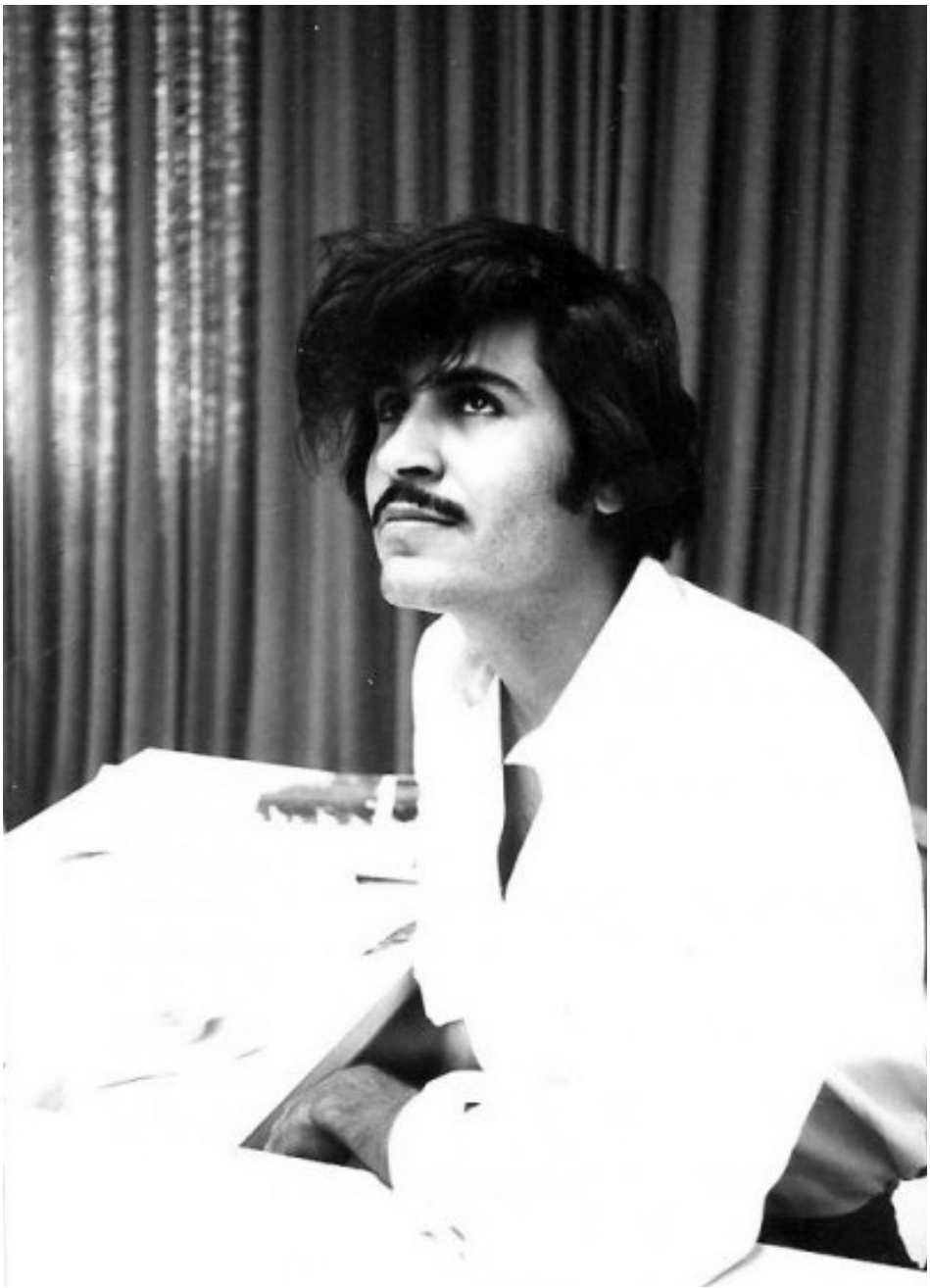

الفهرس

مقدمة 3
بداية الرحلة 5
تلفزيون أرامكو 9
تأسيس التلفزيون السعودي 11
رائد الهوية التلفزيونية السعودية 13
الهجرة 15
اهتمامه بالبرامج الوطنية وثقة القيادة به 17
صائد المواهب 19
الدقة والانقطاع للعمل الفني 21
أوبريت "أسفرَت وأنورَت" 24
الفنان الملتزم إلى آخر نفس 27
سعد الفريح في ذاكرة الروّاد والفنانين 33
أعمال سعد الفريح 60

الشركاء

الرعاة